الإلحاد السلوكي

بقلم

أنور داود

٢٠٢٠

الإلحاد السلوكي

بقلم : أنور داود

تصميم الغلاف: جيهان عايد

إخراج فني: صفوت نظير

يطلب من : **مكتبة الإخوة** ٣ ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

وفروعها:

مصر الجديدة : ٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف – ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية : ٦ ش الفسطاط كيلوباترة ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا : ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

Printed in Egypt

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٥٠١٨

طبعة أولى : ٢٠٢٠

المحتوى

	مقدمة	٥
١	الإلحاد السلوكي	٧
٢	التجسد والتواصل الإلهي	١١
٣	ولد فقيرًا	١٤
٤	ولد لكي يموت	١٨
٥	ما لا يجب أن ننساه في أحد الشعانين	٢٢
٦	ولائم في سفر أستير	٢٩
٧	اجلس .. اثبت .. اسلك	٣٥
٨	فريسيون في الكنيسة	٣٩
٩	خاطئتان وتبرئة الديَّان	٤٥
١٠	مواهب الروح القدس	٥٢
١١	فهو يبقى أمين	٥٨
١٢	بيلي جراهام والكارز البسيط	٦١
١٣	عفوا لقد نفد رصيدكم	٦٧
١٤	د. احمد خالد توفيق مواجهة الموت	٧٣
١٥	إلحقونا من كورونا	٧٨
١٦	قالوا إيه علينا دولا؟	٨٥
١٧	الرهبان هم أيضًا بشر	٩٠

١٨	العوار الذي كشفه قاتل القس مقار	٩٥
١٩	الأحداث تتكلم	٩٩
٢٠	ناقوس الخطر في محطة قطار رمسيس	١٠٤
٢١	الذهن والعبادة	١٠٨
٢٢	قد ذكرت لك	١١٤
٢٣	العام الدراسي وهجران الاجتماعات	
٢٤	هل هو عرض أم مرض؟	١٢٠
	معًا ضد التنمر!	١٢٣
٢٥	من جيل إلى جيل	١٢٩
٢٦	من وحي امتحانات الشهادة الإعدادية	١٣٤

* * *

مقدمة

يسرني أن أقدم للقراء الأعزاء هذا الإصدار الجديد والذي اخترنا عنونًا له: "**الإلحاد السلوكي**"، هناك مقال بذات العنوان ضمن مجموعة مقالات متنوعة الاتجاهات، جزء منها تمت كتابتها كصدى لحوادث معاصرة تم استنباط الدرس الروحي وقتها، مع ربط ما تعلَّمناه بكلمة الله، ولقد كان لهذه المقالات صدى أيضًا عند القراء الأعزاء وقت إدراجها برسالة الشباب المسيحي أو جريدة الطريق والحق. وتلبية لرغبة مؤمنين وخدام من جهات مختلفة تم جمع هذه المقالات بهذا الشكل لتفيد قطاعًا أكبر من غير المتابعين لهذه المجلات.

أتركك عزيزي القاري مع هذا الباقة من المقالات، راجيًا لك من خلال قراءتها كل بركة.

أنور داود

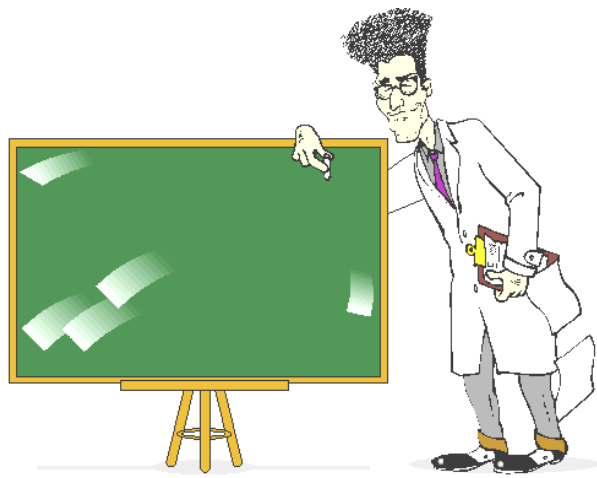

١

الإلحاد السلوكي

لا أحد ينكر أن هناك موجة إلحاد اجتاحت العالم كله ربما كان أحد أسبابها هو عدم وجود قدوة أمام الشباب، إضافة للاتجاه المادي الذي جعل الإنسان يظن في نفسه أنه يستطيع أن يحل مشاكله بالمال ولا يحتاج إلى معونة إلهية، فالمال أصبح هو السيِّد والمتحكِّم في كل آليات الحياة.

هذه الموجة أيًا كان حجمها، فالبعض بالغ في تقييمها والبعض قال إنها وصلت من ١,٥ % إلى ٣ %، لكن ما شُغلت به في هذا المقال هو الكتابة عن إلحاد آخر تزيد نسبته بصورة ملفتة ألا وهو: **الإلحاد السلوكي**.

الإلحاد السلوكي صاحبه يؤمن بوجود الله ويؤمن بصدق كلمته وله اختبار تغيير حقيقي ورجوع للرب، ولكنه يختزل العلاقة مع الله إلى ضمان الأبدية من جهة، وإلى العبادة داخل جدران الكنائس من جهة أخرى. أما عن السلوك والقرارات فيتصرف فيها بالاستقلالية عن الله، وهذا هو الإلحاد بعينه حتى وإن كان في السلوك والتطبيق فقط.

ونسوق إليك عزيزي القارئ بعض صور الإلحاد السلوكي:

١- عندما نعظ الآخرين بأمور ونفشل في أول امتحان عملي للعيشة بها.

٢- عندما تعكس قراراتنا توجهات عكس التي ننادي بها أو نعرفها.

٣- عندما نأخذ قراراتنا بدون الرجوع للرب.

٤- عندما نواجه تجاربنا بدون اللجوء للرب كمصدر للمعونة، وبدون اللجوء له لمعرفة فكره.

٥- عندما يدخل العالم بكل قبحه في قلوبنا وتتجسَّم "الأنا" وتنضح على كل تصرفاتنا.

٦- عندما تكون لنا صراعات جسدية مع البشر حتى في دوائر الخدمة لأننا نشبع ذواتنا عن طريق الخدمة.

٧- عندما لا يكون لكلمة الله سلطانها على حياتنا وأفكارنا أو قراراتنا ونكتفي بمعرفتها في أذهاننا فقط ونحيا كما يحلو لنا أن نعيش.

٨- عندما لا تكون مخافة الله وتقواه تسيطر وتضبط مشاعرنا وتوجهاتنا ونكون عائشين حسب الجسد وأهوائه وميوله.

هذه بعض الصور من كثير، فيعوزنا الوقت والمساحة التي نفرد من خلالها تصرفات نتساءل أمامها: أين الله من هذه التصرفات؟

سنجد أننا قد استبعدناه تمامًا!!

الضرر الكبير من هذا النوع من الإلحاد هو أننا بدون أن ندري نُصبح عثرة أمام نفوس تتلمس الطريق ناحية الرب، تبحث عن النور الذي يرشدها، فلا تجده، فالإيمان يُمارَس داخل الكنائس فقط، أما خارجها فحدث ولا حرج! فالله بالنسبة لنا هو إله بعيد عن حياتنا العملية.

تبحث عن المؤمن كملح فلا تجد له أثرًا، بهذا – دون أن ندري – نضع عثرة أمام الآخرين المُحتاجين للرب بدل من أن نكون عونًا لهم في تبعيتهم للرب.

ولهذا كان هناك روشتة علاج تُقدَّم لحالتنا المرضية هذه:

١- الرجوع الحقيقي للرب بتوبة واعتراف، لنتخلص من حالة الانفصام بين المعرفة والسلوك.

٢- الاجترار وهضم كلمة الله وعدم الاكتفاء باستقبالها كمعلومات فقط، فهي تشكل طريقة تفكيرنا وسلوكنا «فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح» (في١: ٢٧).

٣- الحرص على العيشة بكل نور يصل إلينا، فالله لن يكشف لنا نورًا جديدًا، إلا إذا رأى أمانة في العيشة طبقًا لما وصل إلينا من نور.

٤- العيشة في محضر الرب «حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه» والاستعانة به في كل محكّات الحياة «اعبر إلينا

وأعنَّا» فلا تكون العلاقة مع الرب مجرد زيارات، بل إقامة دائمة في دائرة الشركة.

٥- نعيش الحياة من وقت لآخر على المسطرة الإلهية وهي كلمة الله «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إن فعلت هذا، تُخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضًا» (١تي٤: ١٦).

٦- قياس السلوك على حياة المسيح، فالسؤال الذي نسأله لأنفسنا: ما الذي كان يفعله الرب يسوع لو كان مكاني في هذا الموقف.

٧- الحرص على الاتجاه الأعمال الصالحة، فهي برهان الإيمان وبرهان الشركة مع الرب أمام الآخرين، فالناس لن يروا إيماننا، لكنهم يستطيعون أن يروا أعمالنا الحسنة فيمجِّدوا أبانا الذي في السماوات (مت٥: ١٦؛ تي: ٨).

٨- يجب أن نعلم جيدًا ان المسيحية الحقيقة ليست بداخل جدران الكنائس لكنها في العالم والشارع ودوائر العمل والمواصلات والبيت فهذه كلها محكّات حقيقة الإله الذي نعبده ونحيا له؟!

***

٢

التجسد والتواصل الإلهي

يقول الكتاب: «بالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦) ويوحنا بالوحي يقول: «حلَّ بيننا» (يو١: ١٤). لقد أخفى مجد اللاهوت في الناسوت، فأخذ صورة عبد، فلو جاءنا في بروق ورعود كأيام جبل سيناء عندما كان الجبل يدخن، ما كان أحد يقترب منه، لكنه جاء متضعًا، فاقترب منا واقتربنا منه، فلم يتكلَّم بلغة الملائكة (١كو١٣: ١)، لأننا لا نفهم لغة الملائكة، ولم يتكلَّم بلغة الفردوس (٢كو١٢: ٤)، فبولس لم يجد عبارات تعبِّر عمَّا سمعه، وقال لا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم على الأرض بهذا، لكنه تكلَّم اللغة التي نفهمها وبالأسلوب الذي نفهمه، فما أكثر الأمثال التي نطق بها والتي هي من وحي البيئة والمجتمع الذي عاش فيه! فمرة قال لهم: «هوذا الزارع قد خرج ليزرع» (لو ٨: ٥). وكان أمام أعينهم زارع يزرع فعلاً، لقد شارك الناس في مناسباتهم، فلقد ذهب إلى عُرس عندما دعوه للعُرس وذهب إلى جنازة (يو ٢ و١١)، شارك الناس في ظروفهم المتنوعة.

لم يتعامل مع الناس مثلما تعامل الفريسيون، مع أنه أفضل من الفريسيين بما لا يقاس، بل لا يوجد مجال للمقارنة، فنجد السامرية تتكلَّم معه حديثًا طويلاً (يو ٤)، لأنه اقترب منها كأنه محتاج لها وليس هي التي تحتاج إليه فقال لها: «أعطيني لأشرب» (يو ٤: ٧)، وفي أثناء الكلام شجعها بالقول: «بالصواب أجبت ... حسنًا قلت».

وأعتقد أن الرب في سلوكه اليومي شابه المجتمع في نوعية الملابس والمظهر العام والسلوكيات العامة، لهذا لم تكن هناك مسافات بينه وبين الناس، فكان يقدر أن يقترب منه حتى الخطاة «وكان الخطاة يدنون منه ليسمعوه» (لو ١٥: ١).

لقد نجح الرب في التواصل مع البشر، فاقترب منه البشر بجميع نوعياتهم، فمن الممكن أن يدعوه فريسي للغداء في بيته (لو ١١: ٣٧)، ومن الممكن أن يحضر فرصة تجمُّع يقارب الخمسة عشر ألف نفس (عند إشباع الخمسة آلاف)، لم يسيء لأحد ولم يجرح أحدًا ولم يدخل في الاختلافات الطائفية بين اليهود والسامريين ولا في الفجوة الموجودة بين الأمم واليهود. والدرس الذي نتعلَّمه منه:

هو أن نتجسَّد لمَن نريد أن نتواصل معهم.

فكآباء نتجسَّد للتواصل مع أولادنا، نفهم عالمهم وننزل له ونفهم لغتهم ونتكلَّم بها معهم، لكننا في الكثير من المرات نختلف معهم، لأننا نتحدث معهم بلغتنا ونقارن بيننا وبينهم وبين أيامنا وما كنا نعمله في سنهم.

وكخدَّام نحتاج أن نتجسَّد لنتواصل مع المخدومين، فلو كنا نخدم وسط الفقراء، نخدمهم بلغة تختلف عن اللغة والأسلوب في خدمة اجتماع الكنيسة أو اجتماع الشباب أو مدارس الأحد، فنجاح الخادم يأتي بنجاح تواصله مع الفئة التي يود التواصل معها أو التجسد إليها.

لكننا إن خدمنا بلغة غير مفهومة عند السامع أو تكلَّمنا بأسلوب غير مفهوم وهذا ما يعنيه بولس حينما يقول: «فصرت لليهود

كيهوديٍّ لأربح اليهود ... صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء، لأخلِّص على كل حال (بأي وسيلة) قومًا» (١كو٩: ٢٠، ٢٢)، يكون حالنا ما قاله الكتاب: «فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلِّم أعجميًّا، والمتكلِّم أعجميًّا عندي» (١كو١٤: ١١). فليتنا نتعلَّم من الرب الذي قدم التعليم بطريقة بسيطة يفهمها الطفل، مثلما يفهمها الشيخ. وذكر الكتاب عنه إنه كان يتكلَّم بأمثال «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلِّمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا» (مر٤: ٣٣). فمع قدرته أن يتكلَّم كلامًا ساميًا جدًا، لكنه حرص على أن يكون بسيطًا يحوي أعمق الحقائق بأبسط العبارات.

أعتقد أن أحد الأسباب للصراعات بين البشر على كافة المستويات هو الافتقار للتواصل الجيد، فكل واحد يتكلَّم بلغته، ويرى نفسه ولا أحد يرى غيره، ولا يريد أن يفهم غيره.

ليت ذكرى ميلاد الرب يسوع وتجسده تعمِّق فينا الاحتياج لهذا الدرس حتى وإن كان يكلِّفنا أن نتجسد تجاه الآخر، فالرب تكلَّف في تجسده، لكنه كسب مكاسب عظيمة تتناسب مع التضحية وهو أنه عُرف من الكثيرين، والكثيرون عرفوه معرفة حقيقية، وصار لهم علاقة حقيقية معه، لأنه لم يكن محور التواصل، بل الإنسان الذي تواصل معه.

٣

وُلِدَ فقيرًا!

كوْن أن الله يظهر في الجسد ويقبل محدودية المكان والزمان هذه هي قمة المعجزات، وهذا فوق تصور العقل البشري واستيعابه، لهذا نحتاج للإيمان لنصدقه ونقبله، فلقد تنازل الله "سبحانه وتنازل" لكي يصل إلينا حيث وصلت بنا الخطية. بعد أن تعذر وصولنا إلى الله وتعذر اقترابنا إليه. فلقد اقترب هو إلينا وعندما تجسد – مع أنه خالق كل البرايا، وعمل العالمين– وصل لأقصى درجات الافتقار لكي يصل إلى الفقراء والمنبوذين والمُهمشين. فلقد عبَّر عن هذا بولس لإخوة كورنثوس في حثه على العطاء، مقدمًا لهم المسيح كمثال ونموذج:

«أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ،
لكي تستغنوا أنتم بفقره»

(٢كو ٨: ٩).

فإذا كان افتقاره يُغنينا، فكم وكم وهو في قمة المجد الأسنَى فوق كل رياسة وسلطان؟!

صور الافتقار:

١– **مزود بيت لحم:** إن أي شخص وأفقر شخص في ولادته

يكون لـه مكـان، أمـا الـرب يسوع فلـم «يكـن لهمَـا موضـع بـالمنزل»، للدرجة أنها «قمَّطته وأضجعته في مذود».

٢- **ختانـه:** عند ختانـه فـي اليوم الثامن، قدَّمَا تقدمـة الفقراء، لأن هنـاك مَـن يقدم ثـور بقـر أو الغنم أو المـاعز أو زوج يمـام أو فرخـي حمام، وهذا دليل على فقرهم (لو ٢: ٢٢).

٣- **نجَّـار الناصـرة:** لقد تربَّـى المسيح فـي الناصـرة (لـو ٤: ١٦) وهـي بلـدة مُحتقـرة، وعُـرف فـي وطنـه بأنـه النجَّـار (مر٦: ٣) وابـن النجَّار (مت١٣: ٥٥).

٤- **بــلا مــأوى:** عنـدما قـال لـه كاتـب: «يـا معلِّـم، أتبعـك أينمـا تمضـي. فقال لـه يسوع: للثعالب أوجرةٌ ولطيور السماء أوكـارٌ، وأمـا ابـن الإنسـان فلـيس لـه أيـن يُسـند رأسـه» (مـت ٨: ٢٠). فلـم يكـن للمسيح حق مثـل حتـى أبسط الكائنـات التـي كـان لهـا مكـان يحميهـا وتستريح فيه.

٥- **بلا نقود:** في خدمته احتاج أن النسوة كُنَّ يخدمنه من أموالهن (لـو ٨: ٣). ولقـد قـال للـذين أرادوا أن يجربـوه: «أرونـــي معاملـــة الجزيـة» (مت ٢٢: ١٩) وأمـام موقف جمـع الجزيـة للهيكـل، لم يكـن معه الدرهمان، هذا المبلغ الزهيد (مت١٧: ٢٤-٢٧). فكل منَّا معه حافظة للنقود بها قليل أو كثير من الأموال، لكن الرب يسوع لم يكن معه حافظة نقود ولم يكن يملك أموالاً من الأساس!

٦- **بلا ثياب:** عند الصليب كانت ثيابه هي كل ما يمتلك، فجرّدوه

منها واقتسموها بينهم أمام عينيه، كل هذا قبل أن يُسْلِم الروح، وهكذا خرج من العالم بلا شيء حتى الثياب!

٧- **القبر المُستعار**: وانتهت حياته بأن دُفن في قبر مُستعَار! يذوب القلب فينا ونحن نتكلَّم عن ذاك المجيد «العلي المرتفع ساكن الأبد» وكيف افتقر لأجلنا وصار مسكينًا.

دعوني بعد أن استعرضنا بعض صور افتقار الرب نختم بهاتين الملاحظتين:

١- **التأثير والتكريس لا تعطله قلة الإمكانيات**: لم يكن للرب الإمكانيات المادية ومع ذلك هو أكثر شخص أثَّر في التاريخ! لم يكن له مركبة، مع أن الخصي الحبشي بعدها بسنوات قليلة كان يملك مركبة يسافر بها، ولم يعمل معجزة لأجل نفسه مثلما عملها مع فيلبس عندما خطفه روح الله لينقله من مكان لمكان موفرًا له الوقت والطاقة، بل سار على رجليه حتى تعب من السفر ليقابل السامريَّة، فكل المعجزات التي عملها كانت لأجل الآخرين ولم يكن فيها واحدة لأجل نفسه!!

٢- **الاستفادة من إرسالية الرب للعالم**: لم يكن مجيء المسيح للعالم صدفة، بل جاء بإرسالية من الآب لخيرنا. فهل استفدت من مجيء الرب بالجسد، أم أن هذا العيد مثله مثل أي عيد مضى؟ والعيد مجرد احتفال ومأكولات وملابس

وبعض الصور الأخرى، إن كان كذلك، فنحن نعيد لأنفسنا وليس لصاحب العيد.

أتمنى لجميع القراء الأعزاء حياة مباركة غنية بوجود الرب يسوع فيها.

فلو افترضنا أن مشيئة الرب كانت لنا أن نكون فقراء في هذا العالم، فنحن أغنياء في الإيمان بوجود الرب في حياتنا (يع٢: ٥).

فلو كنا نحن أغنياء وخلت حياتنا من الإيمان بالمسيح، فنحن أشقى جميع الناس.

أتمنى للجميع حياة ملؤها حب المسيح.

٣- علينا أن نتمثل بروح البذل والإيثار والعطاء التي كانت لدي مُخلصنا الذي أعطى كل ما عنده سواء في حياته أو موته فنقدم للمُحتاجين والفقراء والمعوزين ما لدينا.

***

٤

وُلدَ لكي يموت!

كل إنسان – والبشر بصفة عامة – يولد لكي يعيش ويتملكه حب البقاء ويتمسك بالحياة لآخر نَفَس ولا يطيق حتى مجرد سماع كلمة الموت، لأنه ينهي على كل طموحاته، للدرجة التي يعتبر الكتاب الموت بالنسبة للإنسان عدوًا «آخر عدو يُبطلُ هو الموت» (١كو١٥: ٢٦). على العكس، هناك شخص فريد وُلد في العالم قيل عنه بالنبوة قبل ولادته: «يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعَى اسمه عجيبًا، مشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام» (إش ٩: ٦).

فالعجيب ليس فقط كونه غنيًا وغناه لا يستقصَى، لكنه ولد فقيرًا «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو٨: ٩). وُلد في ظروف ربما لم تحدث في ولادة أفقر البشر على الأرض، لكنه من العجيب أنه وُلد لكي يموت؛ وهذا ما قاله في عدة مناسبات مختلفة لتلاميذه وفي

أوقات مختلفة، مما يدل أن عمل الصليب لم يغب عنه لحظة كل أيام حياته.

فلقد أعلن صراحةً أن غرض مجيئه هو أن يبذل نفسه فدية عن كثيرين، وقد أشار لأقوال الرب ثلاثة من البشيرين متى، مرقس، يوحنا.

فأشار متى: «كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدم، وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مت٢٠: ٢٨)؛ ومرقس: «لأن ابن الإنسان أيضًا لم يأت ليُخدَم بل ليَخدم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مر١٠: ٤٥)، ويوحنا: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو١٠: ١١).

وفي بعض المرات أشار ليس فقط لموته، بل لطريقة الموت وهو موت الصليب. فالمعروف أن في ذلك الوقت كان هناك عقوبة الرجم هي طريقة اليهود للإعدام، وطريقة الصلب وهي طريقة الرومان في أحكام الإعدام، ولم يتكلَّم الرب يسوع عن صلبه فقط، بل عن حوادث المحاكمات بكل تفاصيلها حتى التَّفل واللطم.

«فأخذ الاثني عشر أيضًا وابتدأ يقول لهم عمَّا سيحدث له: ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، ويحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم» (مر١٠:٣٢-٣٤)، وأشار لوقا لهذا الموقف وأضاف: «... ويشتَم ويتفَل عليه ...» (لو ١٨: ٣٢).

وحتى صلاته للآب: «والآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول: أيها الآب نجِّني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢:٢٧).

وهذا ما جعله يسلِّم نفسه وقت الصلْب. فلم يطلب – مع أن هذا كان في إمكانه – من الآب اثني عشر جيشًا من الملائكة لينقذوه من المشهد، وحتى الملاك الذي جاء من السماء جاء ليقوِّيه (لوقا٢٢: ٤٣)، كان بإمكان هذا الملاك أن يقتل ١٨٥ ألف، كما فعل في العهد القديم (٢مل١٩).

ومع أنه أظهر سلطانه عندما قال لهم: «مَنْ تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو .. رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يو ١٨:٤-٦)، لكنه عاد وسلّم نفسه لهم وقال: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣).

لهذا كان رد الرب على بطرس الذي أراد بإخلاص أن يدافع عن الرب لحظة القبض عليه مستلاً سيفه سائلاً: «أ نضرب بالسيف؟»، ولم ينتظر الإجابة وقطع أُذن عبد رئيس الكهنة، فرد الرب: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو١٨: ١١)، آخذًا الكأس من يد الآب، لا من يد هيرودس وبيلاطس ولا رؤساء الكهنة الحاسدين له، وهذا عدَّل من قناعات بطرس، الذي قال لرؤساء الكهنة في سفر الأعمال: «هذا أخذتموه مسلَّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق،

وبأيدي أثمَةٍ صلبتموه وقتلتموه» (أع٢: ٢٣).

افترض أحدهم فرضًا جدليًا: "إنه لو لم يوجد حسد رؤساء الشعب بهذا الشكل ولا محاكمات زائفة ولا عسكر ولا التهم الملفقة، لكَان الرب يسوع ذهب برجليه إلى الجلجثة لكي يقدم نفسه فداءً عنَّا، لأنه أتى لهذا الغرض المجيد وهو إتمام عمل الفداء".

عزيزي .. ونحن في هذه المناسبة السعيدة، وهي تذكار مجيء الرب بالجسد، وكما أشرنا أنه أتى لكي يصنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا (عب١: ٣)، هل استفدت من مجيئه ومن المهمة العظيمة التي أتمها على الصليب؟ هل تقدِّر موته لأجلك؟ هل تهتف مع بولس: «ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)؟

***

٥

ما لا يجب أن ننساه في أحد الشعانين

"أحد الشعانين" أو "حد الزعف" على حد التعبير العامي هو الأحد الذي يذكِّرنا بدخول المسيح لأورشليم قبيل الصليب. ولقد وردت أحداثه في الأربعة بشائر: متى ٢١: ١-١١؛ مرقس ١١: ١٠؛ لوقا١٩: ٢٨-٤٠؛ يوحنا ١٢: ١٢-١٩، بالإضافة أن هذا تحقيق النبوة نجدها في سفر زكريا ٩: ٩.

فالرب بطلبه «حمار وجحش ابن أتان» أراد أن يتمِّم النبوَّة التي جاءت عن ذلك في العهد القديم «ليتم الكتاب»، مثلما طلبه «أنا عطشان» وذلك «ليتم الكتاب»، فهو الذي كان يحفظ الشريعة، وشريعة الله في وسط أحشائه، كان يَعْلَم أنه لا يمكن أن يدخل أورشليم قبيل الصليب بدون تحقيق هذه النبوة:

«ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون، واهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكِكِ يأتي إليكِ. هو عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ، وراكبٌ على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زك ٩:٩).

وعند تحقيق هذه النبوة في البشائر الأربعة لم ترد كلمتي: «عادل ومنصور» لأن هذا لا يتوافق مع الرب في مجيئه الأول الذي أتى فيه وديعًا ومتواضع القلب، بل جاء لكي يفدي، أما في مجيئه الثاني فسيكون «عادلٌ ومنصورٌ» لكي يقضي بالبر.

جرت العادة أن يحتفل بعض المسيحيين بهذا العيد في الكنائس محتفلين أيضًا بسعف النخيل مُحيين بذلك نفس ما حدث يوم دخول الرب لأورشليم قبل الصليب مباشرة حيث فرشوا اليهود للرب الثياب، وهتفوا له مستخدمين أغصان الشجر وسعف النخيل مثلما كانوا في العهد القديم يستقبلون الملوك الظافرين (راجع ما فعلوه مع ياهو – ٢ملوك ٩: ١٣)، مع أن النبوة ذكرت فقط أن الرب سيأتي راكبًا على جحش ابن أتان، لكن اليهود فعلوا له بحسب أمنياتهم لتكريم المسيَّا المنتظَر والمُخلِّص لهم، مستخدمين سعف النخيل الذي يشير إلى النصرة على الأعداء.

وأود في هذا المقال أن أنوه على ما لا يجب أن ننساه في أحد الشعانين:

١- **بيتي أم بيتكم؟:** أورشليم هي مدينة الملك العظيم، لكنها للأسف صارت قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسَلِين (مت ٢٣: ٣٧) وعند دخول الرب أورشليم الدخول الأخير له قبيل الصليب كان داخلاً لها وديعًا، في الوقت الذي كان الملوك المنتصرون في العهد القديم يدخلون المدن متعجرفين في حالة من الزهو الكبرياء وكانوا يفرشون لهم الأغصان والثياب، لكن سيِّدنا دخل المدينة وديعًا مع

أنهم في داخلها كانوا يخططون للتخلُّص منه، وهو كان على علم بكل مخططاتهم، ومع أن أفضل مكان في المدينة وهو الهيكل صار مغارة لصوص فإن كان الرب في تطهيره للهيكل في بداية خدمته قال لهم عن الهيكل: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة» (يو ٢: ١٧)، ها هو في تطهير الهيكل في المرة الثانية في نهاية خدمته – أي بعد ثلاث سنوات – قال لهم: «بيتي بيت الصلاة يدعَى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت ٢١: ١٣)، وبعدها لم يقل بيتي بل: «بيتكم يُترَك لكم خرابًا» (مت ٢٣: ٣٨)، فلم يعد بيته وحتى بعد أن طهَّر الهيكل لم يجد راحته ليبيت في أورشليم، بل خرج منها ليبيت في البيت الذي وجد راحته فيه في «بيت عنيا» (مت٢١: ١٧). وفي هذا المشهد نرى أن الرب عندما أروه أبنية الهيكل لم ينخدع بالشكليات والأنظمة والمظاهر.

وفي بكائه على أورشليم نتعلَّم منه كيف يكون لنا أحشاء تجاه الخطاة، ودموع لأجلهم أمام الرب لكي يخلصوا، ودموع أنهار لأجل مستقبلهم التعس لو استمروا في خطاياهم ورفضهم للرب.

أورشليم كانت تستعد لآخر عيد فصح دُوِّن في الكتاب، وكانت تستقبل الملايين من الزوار من اليهود المشتَّتين الذين يأتوا ليعيِّدوا عيد الفصح – وهو أول الأعياد التي تسمَّى أعياد الرب السبعة في العهد القديم – لكن لم يعد العيد للرب، وكأن الرب يوبخهم بما قاله في العهد القديم: «أبعد عني ضجة أغانيك، ونغمة ربابك لا أسمع»، وهذا لأنه لا يطيق الشَّر والاعتكاف، كل هذا كان يؤكد على

ضرورة دخوله المدينة وديعًا، لأنه لو دخلها عادلًا ومنصورًا لكَان أفناها. ولأنه دخلها وديعًا لهذا لا نستغرب أنه نظر إليها وبكي (أجهش بالبكاء)، وهذه في المرة الوحيدة في المرات الثلاث التي بكى فيها الرب، أي أجهش بالبكاء، بمعنى أنه بكى بكل قوَّته، بكى على ما سيأتي عليها لا على ما سيصدر منها ضده، بكى على القضاء والدينونة التي ستلاقيها والذي تم سنة ٧٠ ميلادية يوم لم يُترَك فيها حجر على حجر، فكل الكلام عن الدينونة تحقق مثلما تحققت الدينونة أيام نوح وأيام سدوم، وستتحقق الدينونة في المستقبل رغم أنف المتهكمين والمستهزئين (٢بط ٣: ٣-٧)، فسيظل المبدأ قائمًا ليكن الله صادقًا وكل إنسان كاذبًا.

والسؤال الآن هل نهتم أن نحتفل بالرب يسوع احتفالاً شكليًا مظهريًا فقط بينما قلبك مملؤة من الشرور المختلفة مثل ذلك الهيكل اليهودي الذي كانوا يفتخرون به بالمظاهر فقط؟

٢- **أُوصنَّا، أم اصلبه! اصلبه!:** إن الذين هتفوا له «أُوصنَّا» بعد أربعة أيام هتفوا: «اصلبه! اصلبه! ... دمه علينا وعلى أولادنا»، فالرب لا يُخدَع بكلام الشفتين وهتافات الحناجر طالما أن القلب مُبتعد عن الرب، فحتى ولو تنبأ الشخص باسم الرب طالما أنه بعيد عن الرب سيسمع القول: «إني ما أعرفكن ... اذهبوا عني يا ملاعين». وفي هذا نقول لا تُصدَم من تقلب آراء البشر فيك، فها هو الرب هتفوا له كالمُنقذ لهم والمسيَّا المُنتظَر «ابن داود»، وفي ذات الأسبوع صلبوه مُعلنين قمة رفضهم له.

(لتأكيد الفكرة في أعمال ٢٧ قالوا عن بولس إن الله يقضي عليه لمجرد أن الثعبان نشب بيديه – بعد نجاته من السفينة المنكوبة – وعندما لم يمت قالوا عنه إنه إله. فدعك من آراء البشر المتقلبة).

٣- **النبي أم الملك؟:** هتفوا للرب باعتباره نبيًا قائلين: «هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل» (مت ٢١: ١١) وتجاهلوا أن الرب أعظم من الأنبياء، فالله جعله «ربًا ومسيحًا» (أع ٢: ٣٦). فهل الرب هو سيِّد على حياتنا؟

٤- **خلِّصنا من الرومان أم من عبودية إبليس؟:** كانت صرختهم «أُوصنَّا» وكانوا يرجون من ورائها أن ينقذهم من عبودية الرومان المُستعبِدين لهم في ذلك الوقت، وفاتهم أن عبودية الرومان أرحم من عبودية إبليس الذي يقتنص البشر لإرادته (٢تي٢: ٢٦) والذي يسرق ويذبح ويُهلك (يو١٠: ١٠)، فكان بالأحرى أنهم يهتفون له أن ينقذهم من عبودية إبليس، ويهتفون له بأن يربط القوي وينهب أمتعته (مت ١٢: ٢٩)، ويهتفون له بأن يجرِّد الرياسات والسلاطين ويُشهرهم جهارًا ظافرًا بهم في الصليب (كو ٢: ١٥)، لكنهم بدون هتاف له فعل ذلك؛ فهو نسل المرأة الذي سحق رأس الحيَّة (تك ٣: ١٥) كم من مرة طلبت لله أن ينقذك من مشاكلك الزمنية ويسدد احتياجاتك المادية ولكنك تجاهلت مشكلتك الأساسية واحتياجك الأعظم وهو التحرر من عبودية ابليس والخلاص من أسر الخطية؟؟

٥- **هل الكرامة هي للرب أم للأتان؟** عندما أرسل الرب التلاميذ

ليُحضروا له حمار وجحشًا ابن أتان، قال لهم إن سألكما أحد لماذا تحلان الجحش تقولان: «الرب مُحتاج إليه».

بدايةً الرب، رغم أنه كان في مكان، والحمار في مكان آخر، لكنه كان يعلم ما يجري في المكان الآخر، وهذا يؤكد أنه لم يكن النبي فقط، بل الله كُلي العلم والمتواجد في كل مكان (مز ١٣٩:٧ و٨)، وهو يعلم الحوارات حتى التي ستُجرَى في المستقبل، فهو يعلم المستقبل، لكن إبليس لا يعلم المستقبل لأنه لو علم المستقبل لمَا قاد اليهود لصليب، لأن بالصليب هزيمته.

وفي قول الرب إنه محتاج للحمار، كم في هذا رسالة للإنسان! فالحمار عادة مُتعب والإنسان مولود المرأة شبعان تعبًا، وإن كان الرب محتاج للحمار ليستخدمه في هذه المهمة فكم حاجة الرب لكل خاطئ، لا ليحرره من الربط، فقط بل ليستخدمه ويصيّره «إناءً للكرامة نافعًا للسيّد مستعدًا لكل عملاً صالح».

متى يفكر الحمار خطأ؟ بدايةً إنني أخذت المشابهة بين الإنسان البعيد عن الرب والحمار، لأن كلمة الرب تؤكد أن الإنسان يولد كجحش الفراء (أي١١: ١٢)، بل وأحيانًا يكون وضع الحمار أفضل حالاً من الإنسان العاصي «الثور يعرف قانية والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم» (إش١: ٣).

يفكِّر الحمار خطأ عندما يرى هناك ملابس وضعت عليه (ثياب الخلاص)، وأرض تُفرَش تحته، والناس تتزاحم وتهتف بكل قوة في كل ناحية له، فيظن أن كل هذه الكرامة له فيفتخر متعظمًا.

ربما تنعت الحمار، وأنت تقرأ هذه الكلمات، بأصعب الألفاظ في كيف أنه نسى ماضية! كيف أنه كان موثوقًا بالمربض وظن أن هذه الكرامة التي تخص الرب والمعني بها الرب، أنها له! وننسى ونحن ننعته بأن هناك مَن يأخذ مجد الرب لنفسه وكرامة الرب لنفسه من خلال مجالات استخدام الرب له، وينسى أن كل صلاح وعظمة في حياتنا مصدرها الرب، وكل كرامة يُعطيها لنا الرب ونحن في حقل الخدمة يجب أن نُرجعها له ونعترف أننا نحن ما إلا حاملين حياة ملك الملوك ورب الأرباب، نحن نعمل مثل "السفرجي" الذي يقدِّم الطعام للمؤمنين، لكنه لا ينسى أبدًا أن المصدر هو مخازن الله التي لا تنضب وقلب الرب يسوع المملوء بالحب لقطيعه.

أ ليس هذا ما يحدث في حياتنا؟ حين نطلب الكرامة والمجد لأنفسنا – رغم أننا لا نستحق شيئًا – وفي الوقت نفسه يصعب علينا أن نُكرم مَن يستحق الإكرام وحده. ليتنا نتمثل بيوحنا المعمدان الذي قال: «**ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص**» (يو٣: ٣٠).

***

٦

ولائم سفر أستير

سفر أستير هو السفر الوحيد بالكتاب المقدس الذي لا يذكر لفظ اسم «الله»، ومع ذلك نجد الله متداخلاً في كل أحداث السفر من أصغر الحوادث لأكبرها، ويسيطر على الأحداث والأشخاص، حتى الملوك.

في هذا السفر نقرأ عن الولائم أربع مرات:

١- **وليمة أحشويرش التي خلع فيها وشتي** (أصحاح ١).

٢- **وليمة أحشويرش التي تزوج فيها أستير** (أصحاح ٢:١٨).

٣- **وليمة أستير** (أصحاحي ٥ و٦).

٤- **وليمة أعياد الفوريم** (أصحاح ٩).

الوليمة الأولى: وليمة أحشويرش:

وليمة استمرت لمدة ١٨٠ يومًا؛ أي نصف عام. ودعا فيها أشراف الممالك في الـ ١٢٧ كورة، وهي حجم المملكة التي يملك عليها الملك أحشويرش، وفي نهايتها عمل وليمة سبعة أيام لمَن في القصر. وأوصى أن يعطَى حسب كرم الملك لكل شخص. ووشتي الملكة عملت وليمة أيضًا للنساء، لكن كيف انتهت هذه الولائم؟ انتهت بخلع

الملك أحشويرش لزوجته وشتى لأنها أبت أن تخرج ليُريها الملك للأشراف.

ومن هنا نتعلَّم أول درس لهذه الولائم وهو أن: «فرح الفاجر إلى لحظة» (أي ٢٠: ٥). فلقد بالغ الملك أحشويرش في إظهار جوانب عظمته أمام الناظرين وحاول أن يفرح بشتى الطرق، لكن لقد انتهت الوليمة بكآبة ودمار لبيت الملك ذاته. وهكذا كل محاولات الإنسان للفرح والسعادة بعيدًا عن الرب تؤول إلى ذات النتيجة. فعبثًا أن نجد فرحنا في أفراح العالم، ولا يجب علينا

كمؤمنين حقيقيين أن نشابه العالم في طريقة أفراحه أو نلجأ لمصادر أفراحه، بل كما هو مكتوب «افرحوا في الرب كل حين» (في٤: ٤). وهذا يعني اجعلوا الرب هو مصدر فرحكم وينبوع سروركم لا الأمور الزائلة. أذكر هذا لأننا للأسف نريد أن نُحاكي العالم في طريقة أفراحه، مع أنه من المفترض أن ما يحدث هو العكس. فكم كان رائعًا بولس عند محاكمته (أع٢٦: ٢٩) عندما تمنى أن الجميع يشابهونه لا أن يشابه هو الجميع!

والدرس الثاني الذي نتعلمه من هذه الوليمة هو: أهمية ضبط النفس أثناء الغضب. فالحكيم يحرض: «إنْ صعدت عليك روح

المُتسلط، فلا تترك مكانك، لأن الهدوء يسكِّن خطايا عظيمة» (جا ١٠: ٤). فبعد أن هدأ الملك، ذكرَ وشتي «بعد هذه الأمور لما خمد غضب الملك أحشويرش، ذكر وشتي وما عملته وما ختم به عليها» (أس ٢:١). لكنه كان قد اتخذ قرارًا في لحظة غضب، وكلام الملوك لا يُرَد، حيث أن كُتب في شريعة مادي وفارس التي لا تُنسخ. عندما ذكر الملك وشتى ندم على أنه خلعها. لكن كم هو مؤلم أن القرارات التي نتخذها وقت الغضب والكلمات والأخطاء التي تصدر منا قد لا يكفي المستقبل كله لإصلاحها، لهذا أفضل شيء وقت الغضب هو ألا نعمل شيئًا. فقد نعمل شيئًا في لحظة نندم عليه كثيرًا، ولكن ما أجمل التحلي بفضيلة التعفف أي ضبط النفس سواء في المشاعر أو الكلام أو السلوك أو ردود الأفعال.

الوليمة الثانية: وليمة أحشويرش التي تزوج فيها أستير:

وهذه وليمة التعويضات الإلهية فلقد حُرمت أستير من الأبوين وربَّاها ابن عمها مردخاي، وكانت في أرض سبي، لكن الرب عوَّضها بأنها كانت تنال نعمة في عيني كل مَن يراها (أس٢: ١٥). وعندما دخلت للملك – مع أنها كانت واحدة من كثيرات – يقول الكتاب: «فأحب أحشويرش أستير أكثر من جميع النساء، ووجدت نعمة وإحسانًا قدامه أكثر من جميع العذارى، فوضع تاج المُلك على رأسها وملَّكها مكان وشتي» (أس٢: ١٧).

الوليمة الثالثة: وليمة أستير:

في منتصف السفر وبالتحديد في أصحاحي ٥ و٦ وعلى يومين متتاليين عملت أستير الوليمة.

لقد تكبَّر وتجبَّر هامان على شعب الرب، حتى عندما دعته أستير للوليمة في اليوم الأول لم يستشعر غضبها، بل ذهب لبيته يقص على زوجته زرش جوانب عظمته وكم هو متألم من تجاهل مردخاي للسجود له. **ومن هذا نتعلَّم الدرس الأول من هذه الوليمة وهو: أنه قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح.** مع أن هامان حظي بسجود الجميع – حتى وإن كان بالنفاق أو المداهنة أو الخوف أو حتى بالاقتناع – لكنْ في كبرياءه لم يقبل عدم سجود مردخاي له، مع أن مردخاي في عدم سجوده لم يكن يتحداه على قدر أنه كان ينفذ وصية إلهه المكتوبة في الوصايا العشر «للرب إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد» (مت٤: ١٠)، وربما كان هامان قد سمع بهذه الوصية في سنن اليهود التي قال عنها للملك أحشويرش إن هذا الشعب له سُنن مغايرة لشعوب الأرض

كان من الممكن لمردخاي أن يبرر السجود لهامان بأسباب عديدة مثل: الوجود في مدينة وثنية لا تعرف الله، قوة وسطوة هامان، نصائح زملائه والمحيطين به يومًا فيومًا، فربما كان أصدقاؤه اليهود يسجدون لهامان، ولكن لم يفعل.

ولقد فعل حسنًا مردخاي عندما لم يدخل في مواجهة مع هامان الرديء، فحقًا أسلحة المؤمن روحية وليست جسدية قادرة بالله على

هدم حصون، فنتيجة الصوم والصراخ للرب تدخل الرب وسيطر على نوم الملك وعلى قلبه وفي الليلة التي سهر هامان ورجاله يجهزون صليبًا لمردخاي، كان هذا الصليب من نصيب هامان، **فصار الصليب الذي عمله هامان لهامان وهكذا يتحقق قول الكتاب: «مَنْ يحفر حفرة يسقط فيها، ومَنْ يدحرج حجر يرجع عليه» (أم ٢٦: ٢٧)**، وهذا الدرس الثاني الذي نتعلَّمه من الوليمة الثانية يطمئن قلوبنا من جهة مكايد العدو وخططه وشباكه التي يُحيكها في الظلام، وإن كنا لا نعلم هل كان مردخاي نائمًا في الليلة التي كان فيها هامان يُعد له صليب، فمن المرجح أنه لم يعلم شيئًا عن المؤامرة التي تُحاك ضده، لكن بالتأكيد الرب كان ساهرًا ولم ينعس ولا ينام، حافظًا مردخاي، وبالتالي عندما رأى مكايد هامان تجاه مردخاي مسه في حدقة عينه (زك٢: ٨). فصُلب هو، ثم صلبوا أولاده العشرة لاحقًا.

الوليمة الرابعة: ولائم عيد الفوريم:

في أصحاح ٩ نجد ولائم عيد الفوريم حيث في اليومين اللذين تم تحديدهما لإبادة شعب الرب هما ذات اليومين اللذين تمت فيهما إبادة المتآمرين على شعب الرب، فصار هذان اليومان عيدًا لشعب الرب، يتذكره من عام لعام، وسُمي عيد الفوريم أي "القرعة"، فالقرعة التي كانت لإبادة شعب الرب صارت لإبادة أعدائه، وصار هامان ومؤامرته ذكرى واختبارًا يذكره شعب الرب بفرح وبافتخار بالرب إلهه

وهذا ما يستطيع الرب أن يفعله دائمًا تجاه شعبه وقطيعه: «**من الأكل خرج أكلٌ، ومن الجافي خرجت حلاوة**» (**قض١٤: ١٤**). **هذا هو الدرس الأول الذي نتعلَّمه من هذه الوليمة: الرب قادر أن يُخرج من التجارب والضيقات اختبارات تقوي وتغذي إيمان شعب الرب وتصبح مصدر تعزية وتشجيع للآخرين، أما الدرس الثاني: الرب قادر أن «يخلِّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله» (عب٧: ٢٥)، «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدِّين مُعاقَبين» (٢بط٢: ٩)**. فهو لا يُعدم وسيلة لإنقاذ أتقيائه ولا يفرط فيهم في تجاربهم وضيقاتهم حتى وإن نسوه وتركوه، هو لا يتركهم ولا يهملهم. وبطرس يشير إلى الأتقياء كان يقصد لوط، فالذي كنا نظن أن إيمانه ضعيف وتقواه ضعيفة رأى فيه الرب الشخص التَّقي، فلم يعدم وسيلة في إنقاذه، فهو لا يشعر بالحيرة في كيفية إنقاذ المؤمن من التجربة، فعنده للمشاكل أكثر من ألف حل.

وعيد الفوريم نتعلَّم منه أيضًا: خلاص الرب من الضيقات.

كان للشعب حق أن يفرح ويوزع أنصبة كل واحد لصاحبه فاختبروا ما قاله صاحب أيوب له: «لأنك تنسى المشقة. كمياه عبرت تذكرها» (أي١١:١٦).

هذه الاختبارات حيَّة التي حدثت مع شعب الرب في أيام السبي، وأيام الضعف، لكن واضح أن محبة الرب لشعبه لن تفتر تجاهه، حقًا «إن كان الله معنا، فمَنْ علينا؟» (رو٨: ٣١).

٧

اجلس .. اثبت .. اسلك !!

تنقسم رسالة أفسس إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يحمل كلمة من الكلمات التي في صدر المقال.

أولاً: جالسين:

نفهم من الحق المبارَك أننا في جسد الضعف من حيث الحالة، لكن من حيث المقام نحن جالسون شرعًا مع الرب، الذي جلس في يمين العظمة فوق كل رياسة وسلطان.

وكلمة الجلوس تعني الراحة، فاستراحت قلوبنا على كفاية عمله الذي على أساسه جلسنا، وأيضًا على ختم الروح القدس الساكن في قلوبنا الذي يضمن استمرارية الضمان إلى يوم الفداء (أف١: ١٣)، وعلى أننا أصبحنا أعضاء جسد المسيح (أف٤: ١٦)، ولا يمكن أن يُبتَر عضو في هذا الجسد، فلهذا لن نهلك إلى الأبد.

فكم تطمئن القلوب وتستريح على قول الرب:

«خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي» (يو١٠: ٢٧ و٢٨)!

وهذا الجلوس يُعني أيضًا أنه لا مجهود أو عمل نعمله لنصير متحدين بالمسيح سوى الإيمان به كالمُخلص لحياتنا عندئذ يكون لنا مقامًا لا يتغير.

ثانيًا: سالكين:

رسالة أفسس – رسالة السماويات – أكثر رسالة تكلَّمت عن السلوك. حيث جاءت كلمة السلوك ثمان مرات فيها ونحن يجب علينا أن نجلس ثم بعد ذلك نسلك، لكن العكس لا يمكن حدوثه؛ لأن هناك البعض يريد أن يسلك أولاً قبل أن يجلس، فتذهب مجهوداته هباءً، فلا قوة للإنسان على السلوك الصحيح بدون علاقة حقيقية مع الرب.

وقوة السلوك هو حياة المسيح فينا «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧)، فنستطيع بعدها أن ننقل أعماله وكلماته وحياته في كل مكان نتواجد فيه: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠)، فنكون نحن امتداده، يده التي تعمل وقدمه التي تسير وفمه الذي يتكلَّم ونوره الذي يُشرق وسط الظلمة، فالرب الذي قال: «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢)، قال: «أنتم نور العالم» (مت٥: ١٤)، ورسالة أفسس تحوى لنا التحريض: «اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨)، وذلك لكي نستطيع بمعونة الرب وتأثيره أن نجذب البعيدين له.

والسلوك يجعلنا نستحضر السماء إلى الأرض، فالجوانب العملية

في هذه الرسالة شملت كل النواحي، حتى الأُسرية، فنختبر ما جاء عن البيوت التي يُباركها الرب في العهد القديم «لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيك إياها، كأيام السماء على الأرض» (تث١١: ٢١).

ونستطيع أن نستحضر حياة المسيح غير المرئية لتصبح مرئية، فلا يُصبح المسيح بعيدًا عن العيون، لكنه مُستحضَر من خلالنا لأننا سوف ننمو في مشابهة المسيح أكثر وأكثر.

وكلمة «اسلك» بمعنى "تقدم"، ونفهم منها التحريض على النمو، فإحدى مرات التحريض على السلوك بالرسالة كان عن مفتدين الوقت، فاستثمارنا للوقت واغتنامنا للفرص نتقدم روحيًا في علاقتنا مع الرب، فلا نقف "محلك سر" في علاقتنا مع الرب ولا تصبح مجرد عدد سنوات من وقت معرفتنا بالرب، بل تتقدم الحياة مع الأيام من مجد إلى مجد ومن قوة إلى قوة ولا ننسى أن السلوك المسيحي هو قوة في حد ذاته للتأثير على مَن حولنا حين يروا أعمالنا الحسنة فيمجدوا أبانا الذي في السماوات.

ثالثًا: ثابتين:

الحياة الروحية مُصارعة مع العدو، فمحاربتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع أجناد الشَّر الروحية في السماويات، ونحن نصارع لا لكي نحصل على البركات، بل لكي نتمتع بها ونحن لا نصارع بمفردنا بل بقوة الرب، لهذا جاء القول: «تقوَّوا في الرب وفي شدة قوَّته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس» (أف٦: ١٠ و١١).

وعلينا أن نثبت فيما أوكلنا الرب عليه في خدمته، لئلا بعدم ثباتنا يأخذ أحد إكليلنا (رؤ٣: ١١). فلقد ضاعت خدمة ديماس نتيجة عدم ثباته ودفن الوزنات والطاقات والعمر في أمور الزمان «لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي» (٢تي٤: ١٠)، فبعد أن وضع يده على المحراث نظر إلى الوراء (لو ٩: ٦٢).

ليتنا نثبت على التصاقنا بالاجتماعات الروحية «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة» (عب١٠: ٢٥)، أي كما لقوم صار الترك عندهم عادة، فأخذ الكسل يدب في جسدهم وتثاقلت خطواتهم والصدأ اعتلى عواطفهم، فبردت العواطف تجاه الرب ومن ثم تجاه قديسيه، فصار التغيُّب عن الاجتماعات هو الوضع العام وليس الاستثناء.

فإن كان لنا عدو لدود لا يعرف الكسل ولا الفشل في حربه الضروس معنا، ليتنا لا نتكاسل لكي نختبر عمليًا حقيقة مقامنا وهو أننا في السماويات، فنعيش سماويين كسيِّدنا السماوي، ونحن نحتاج إلى الثبات لكي لا نتزحزح عن موقع الانتصار في الحرب الشرسة التي يشنها ضدنا ابليس وجنوده في كل يوم وهذا بالتالي يتطلب حياة السهر والصلاة الدائمة.

***

٨

فريسيون في الكنيسة

الفريسيون فئة كانت إحدى الفئات الدينية أيام الرب يسوع بالجسد، وكان هناك أيضًا الهيرودسيون والصدوقيون والناموسيون وغيرهم. ولقد اتصف الفريسيون بعدة صفات تستطيع – عزيزي القارئ – أن تطلع عليها بمجرد قراءة متى ٢٣: ١-٣٦، ومرقس ٧: ١-٢٣، ولوقا ١١: ٣٧-٥٣ ستجد أن هذه الأمور لها ظل في الكنيسة اليوم في بعض الشخصيات ونتج هذا، ربما لعدم وجود جو من العلاقة الصحيحة مع الرب أو فهم للمكتوب بطريقة خاطئة، لهذا ترعرعت وظهرت صفات مثل:

١- **التضحية بالإنسان لأجل السبت:** كانت إحدى الوصايا في الوصايا العشر حفظ السبت للدرجة، التي فيها محرَّم على اليهودي حتى السير أكثر من ٥٠ غلوة (سفر سبت – أع ١: ١٢)، وبمجرد أن وجدوا شخصًا يحتطب يوم السبت، مع أن هذا الشخص ربما فعل هذا لأن أولاده يحتاجون لطعام، لكن عندما بلغ الأمر لموسى تم رجمه (عدد١٥: ٣٢- ٣٦). هذا هو الجو الذي فيه تم تطبيق الناموس بطريقة حرفية في العهد القديم، لكن بمجيء الرب أعطى بُعدًا أعظم لحفظ السبت، إذا قال الرب يسوع تبارك اسمه: «السبت

إنما جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت» (مر٢: ٢٧). وأوصى الرب بصُنع الرحمة في السبت ليس فقط مع الإنسان، بل مع الحيوان الذي يتم إنقاذه إذا سقط في حفرة، أو إطعامه إذا جاع (لو١٣:١٥). وأعتقد كان الرب يقصد بصُنع بعض الآيات يوم السبت أن يؤكد هذا، لكنَّ الفريسيين كان عندهم حفظ السبت بطريقة حرفية أهم من حفظ الإنسان. وكم نرى حولنا الكثير من المواقف التي فيها يتم التضحية بالإنسان أهون من التضحية بالنظام أو القانون أو المعتقد. وقد نسمع شعارات مثل: "حرصًا على مجد الرب، وحرصًا على الحق ...إلخ". كأن مجد الرب والحرص على تطبيق الحق هو الدافع والحقيقة إنه ليس هو الدافع، بل هناك دوافع شخصية أخرى ربما تشابه ما قاله البعض أيام إشعياء النبي: «ليتمجد الرب»، مع أنهم يبغضون ويطردون إخوتهم (إش٦٦: ٥)!

وكم من أمور شكلية أو ثانوية لا تُقدم ولا تؤخر لكنا جرحنا مشاعر الآخرين بسببها وسببنا لهم العثرة ولم نراع قول الكتاب: «كونوا بلا عثرة» (١كو١٠: ٣٢)

٢- **يحمِّلون الناس أحمالاً عسرة وهم لا يريدون أن يمسوها بأصابعهم:** لا مانع عند الفريسي من أن يدين الخطأ في شخص وذات الخطأ موجود عنده وإن كان بصورة أكبر، وهل لو نظرنا بنظرة – ولو محايدة – لمَن يتخذون موضع القضاة والحكام، ألا نرى صورة لهذا؟! نرى مَنْ يريد أن ينزع القذى من عيني أخيه (عُماص)

وفي ذات الوقت في عينه خشبة (لوح خشب)، والرب وهو يذكر هذا التشبيه لم ينهانا عن إصلاح أو إنذار أو توجيه إخوتنا في حال خطئهم، بل هو أوصانا في أماكن أخرى في الوحي المقدس، بهذا لكن شرط أن نُصلح من حال أنفسنا أولاً ونحكم على أنفسنا أولاً وبعدها ليس عند الرب مانع أن نأتي لنُصلح إخوتنا، لكن غير ذلك يسميه البعض "إسقاط"؛ أي إن الحكم الذي أشفقت على نفسي فيه ولم أحكم عليها لسببه بحثت عنه في آخرين وعندما وجدته دِنْتَه بأقصى قوة. وهذا ما أراد أن يوضحه الرب من تشبيه القذى والخشبة: أن العيب الموجود هو نفس النوع في العين وإن كان عند مَن يدين العيب عنده أكبر بمراحل.

٣- **يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل:** بسهولة تجد البعض يحكم على عيب بسيط بكل قسوة في الوقت الذي فيه يغض الطرف عن عيب كبير، وكم سمعنا عن قصص فيها يتم التساهل مع شخص عنده شر كبير في الوقت نفسه يتم الحكم على آخرين لمجرد أن عندهم شبه شر أو لمجرد ظنون أو حكم على الدوافع التي حذرنا الكتاب من الحكم عليها أو إدانتها، كم من المرات يصيبنا المثل العامي: "**حبيبك يبلعلك الزلط وعدوك يسنى لك الغلط**". وكم من المواقف التي تستطيع أن تُقرأ بين سطورها المُحاباة في أردأ صورها، وأين؟! في كنيسة الله.

٤- **الجلوس في المتكآت الأولى:** الذات لا تعرف الاختباء، حيثما يوجد صاحبها يريد أن يكون محط الأنظار فعندما يجلس يكون

اختياره المتكآت الأولى ولا يريد صاحبها أن يبقى في الظل ولا يريد أن تُصبح أعماله في الظل لهذا تجده كثيرًا ما يشاور لا على نفسه فقط بل على أعماله وكم من مؤمنين يخدمون ويعملون اعمالاً رائعة ليشبعوا أنفسهم وليكونوا محط جذب الأنظار من الآخرين. إن مثل هذه الخدمات يعتبرها الكتاب خشب وعُشب وقش وسوف تحترق أمام كرسي المسيح.

٥- **إطالة الصلوات الجهاريَّة:** في الوقت الذي فيه تقل بل تندر صلواته السرية التي هي ثقيلة على الجسد، وتجده يطيل الصلوات الجهارية ليوحي للسامع أن له رصيدًا مع الرب حتى ولو كان هذا الرصيد وهميًا، وتجده يكثر من النشاط الروحي طالما هو ملاحظ من آخرين، لكن تقل هذه الهمة ويضعف النشاط وينعدم الدافع إن لم يُر من الآخرين مصليًا أو عاملاً، إن قيمة الصلاة لا تُقاس بطولها بل بعمقها ونقاوة الدوافع التي ورائها.

٦- **مراعاة المظهر دون الجوهر:** المظهر الذي يتخذه الفريسي لنفسه يوحي للناظر بعمق تدينه ليحظى بالمدح فيعرض العصائب وحقًا ما أقبحها تجارة المتاجرة بالدين وكم من صور التدين التي ينتهجها البعض وإذا بحثت عن الجوهر من وراء هذا المظهر، لا تجده.

٧- **أكل بيوت الأرامل:** الفريسي قاس على نفسه وقاس على غيره، مُتعبًا لنفسه وسبب تعب لغيره وتظهر القسوة في أبشع صورها في القسوة على الأرامل اللاتي أخذ من الرب وصايا لأجلهن

بالإعالة، لكن تجده ربما يختلس مما يرسله الرب لهن عن طريقه، أو يتاجر باحتياجاتهن عند الآخرين ليحظى هو بجزء من المال، وحتى إن كانت هناك أرملة غنية وأوصت له بتوزيع ميراثها باعتباره رجلاً يحفظ الشريعة، إلا أنه يختلس من هذه التركة لنفسه، باختصار تجده غير أمين من جهة الوكالة المالية.

٨- **يقولون ولا يفعلون:** يعلِّمون تعاليم للآخرين ولا يعيشونها، لهذا قال عنهم الرب: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون» (مت ٢٣:٢ و٣)، والكثير منا للأسف يقع في هذا الفخ الخطير حينما نتكلم ونعظ كثيرًا ولكننا نعيش ونسلك قليلاً، «لا تكونوا معلِّمين كثيرين يا إخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم!» (يع٣: ١).

٩- **يحوِّرُون الوصايا:** الفريسي يفسر الوصايا بما يحقق مصالحه. فعلى سبيل المثال: الوصية الخاصة بإكرام الوالدين التي جاء الكلام عنها في الوصايا العشر وتأكد ذات الكلام في رسالة أفسس وارتبطت الوصية بذات البركة الأرضية (أف ٦:٢ و٣) لكنهم يقولون بدلاً من أن تعطي والديك، حتى ولو في احتياج، تعال بذات العطية للهيكل، وغرضهم من وراء تحوير الكلام الفائدة الشخصية، لأنه حينئذ سيكون من نصيبهم إفادة من وراء مما يُقدم للهيكل بخلاف لو تم تقديمه للآباء، فلن يكون من وراء تقدمة الأبناء أية إفادة لهم.

١٠- يحبـون كلمـات المُجامَلـة: يريـدون أن يـدعوهم النـاس: «سيِّدي، سيِّدي»، ورغم علمهم بعدم صدق الناس في كلمات الإطراء التـي يسمعونها منهم، لكن الذات المتربعة في داخلهم تتغذي على كلمات المدح والإطراء.

بنظرة صادقة للساحة وما يدور فيها دعونا نسأل أنفسنا: هذا السؤال الفاحص:

هل فئة الفريسيين التي كانت أيام الرب قد انتهت أم ما زالت صفاتهم موجودة بصورة أو بأخرى في كنائسنا؟

ليت قراءة هذه السطور تجعلنا ندين في أنفسنا هذه الصفات، قبل أن ندينها في غيرنا.

***

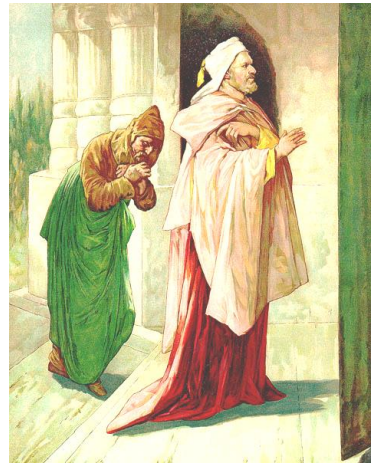

٩

خاطئتان وتبرئة الديان

في بشارتي لوقا ٧ : ٣٦- ٥٠، يوحنا ٨ : ١- ١١ نجد قصتين حقيقيتين حدثتَا أيام الرب. في كل قصة هناك إدانة من الآخرين لخاطئة، ولكن الرب يُبرئ كل منهما. ولِمَا في القصتين من تشابه، لنا فيهما هذا التأمل:

القصة الأولى

[فريسي دعا الرب ليدخل بيته ليأكل خبزًا]

(لوقا ٧)

لا نعلم سبب دعوة الفريسي للرب، هل بقصد الرياء أو لأنه يريد أن يصطاده بشيء كعادة الفريسيين أيام حياة الرب، ورغم علم الرب بكل الدوافع وبكل ما لا نستطيع أن نصل إليه من توقع، فهو العارف بكل القلوب، لكنه قَبلَ هذه العزومة الثقيلة ودخل لبيت الفريسي، وأثناء ذلك دخلت للبيت امرأة خاطئة لأنها علمت أن الرب في بيت الفريسي، وكم كان صعب على امرأة خاطئة في المدينة ومعروف في كل المدينة أنها خاطئة (لو٧: ٣٧) أن تدخل بيت شخص لا توجد عنده مشغولية سوى ببرّه هو ورداءة غيره.

وعندما دخلت المرأة قبَّلت قدميّ يسوع وابتدأت تُبللهما بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها، وهنا بدأت نظرات الاستحقار وأحكام الإدانة في الفكر ليس فقط تجاه هذه المرأة المسكينة، بل تجاه الرب نفسه. ونحن كم نقع في أحكام إدانة تجاه الآخرين، حتى وإن كانت إدانة في الفكر؟ وكم نتناسى أن الرب يعرف أفكارنا «فهمت فكري من بعيد» (مز١٣٩: ٢)؟ ونقع في هذه الخطية في محضر الرب – حتى في الكنائس والاجتماعات الروحية – وربما ندين الآخرين في حياتهم أو سلوكهم أو حتى في عبادتهم وخدماتهم الروحية ونتجاهل أن «فكر الحماقة خطية» (أم٢٤: ٩)، فمن الحماقة أن ندين في حضرة الديَّان ونُصدر أحكامًا على غيرنا، مع أننا قد نكون أشر منهم!!

ففي هذه القصة ضرب الرب للفريسي مثل «المديونان»، واحد عليه خمسون دينار والآخر خمسمئة – وهذا المثل ضربه بناء على أفكار الفريسي عن نفسه وعن المرأة الخاطئة – وكأنه يقول له: بحسب ظنك أن عليك فقط خمسين دينار، لكنك مديون، وهي عليها خمسمئة دينار وهو مديونة أيضًا كذلك، لكن كلاَ دينكم يصعب سداده (لو٧: ٤٢)، ولكنني عندي استعداد لمسامحة الجميع، مسامحتك على الخمسين دينار، مع أن على الفريسي أكثر، ومسامحة المرأة الخاطئة على الخمسمئة مع أن عليها أكثر، نلاحظ أن الأرقام التي افترضها الرب هي بناء على معتقد الفريسي المريض أنه أبر من المرأة الخاطئة.

والرب لكي يُعالج هذا الفكر المريض ذكّره ببعض الأمور:

١- **لا تدن في حضرة الديَّان:** حتى ولو في الفكر، فالمفاجأة التي فاجأ بها الرب الفريسي أنه يقرأ أفكاره ويجاوب على ما يفكر فيه، فقال له: «يا سمعان، عندي شيءٌ أقوله لك» (لو٧: ٤٠). وكأنه يقول لسمعان: "فقد تظن أن الآخرين وأعمالهم وتصرفاتهم وحياتهم وخدمتهم وأسرهم موضوع حكمك وتنسى أنك في حضرة الديَّان، فليس لك الحق أن تدين الآخرين لأنك أنت نفسك مُدان".

٢- **هذه المرأة موضوع مدح الرب لا إدانته:** قال الرب للفريسي كلمات تعبِّر عن مدى تقديره لما فعلته هذه المرأة الخاطئة، حتى ذكر له أكثر مما سطَّره الوحي، فالوحي يسطِّر أن هذه المرأة بلَّلت قدمي الرب بالدموع والرب قال غسَلت رجليَّ بالدموع، ذكر الرب أنه منذ دخلتُ أنا لم تكف عن تقبيل قدميَّ، مع أنها دخلت لاحقًا بعد الرب، فكانت تقبِّل قدميه منذ أن دخلت البيت، ورغم أنها كانت تقبِّل قدميه لكن الرب أشار أنها لم تكف عن تقبيل رجليه، فلقد رأي الرب قلبها التائب النادم وعواطفها المُحبة نحوه قبل أن يرى دموعها الخارجية.

٣- **أعلن الرب أن هذه المرأة قد شُفيت عواطفها:** من المعروف أن المرأة الخاطئة التي تبيع جسدها بهذا الشكل تموت لديها العواطف تجاه الرجال بصفة عامة، لعلمها أنهم يقتربون إليها

لأنهم لا يحبونها، بل يستغلونها، لكن الرب أعلن أن هذه المرأة قد شفيت عواطفها وتحب الرب كثيرًا «من أجل ذلك أقول لك: قد غُفرت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيرًا» (لو٧: ٤٧). هذه المعجزة قد فعلها الرب مع الكثيرين وما زال يفعلها، وهو أن الإنسان الذي يبغض الرب وأموره ويحوِّل نحوه القفَا لا الوجه، يعود من جديد يحب الرب وينجذب إليه ويجري نحوه، ولا يحب الرب فقط، بل يحب كلمته ويحب أموره ويحب المؤمنين به.

ولم تخرج هذه المرأة من محضر الرب بغفران خطاياها الكثيرة فقط، لكن حظيت أيضًا بالقول المبارك: «إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام» (لو ٧: ٥٠).

القصة الثانية

[لامرأة خاطئة لم تأتِ من نفسها،
بل أحضرها الفريسيون والكتبة]

(يوحنا ٨)

أحضروها وقد أمسكوها في ذات الفعل، بمعنى أنه لا توجد لديها أية فرصة للدفاع عن نفسها أو حتى إنكار ما حدث مثلما يحدث في مثل هذه المواقف.

وفيما كان الرب يُعلِّم، أحضروها له وأقاموها في الوسط وكل منهم كان ماسكًا حجرًا كبيرًا قائلين له: «موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم. فماذا تقول أنت؟». مع أن موسى قال

في الناموس يُرجم الزاني والزانية، لماذا لم يحضروا الزاني أيضًا؟ على أية حال، يقول الكتاب إنهم بهذا أرادوا أن يجدوا ما يشتكون به عليه فلعلمهم بقلب الرب وغفرانه أرادوا أن يدخلوه في مشكلة، فلو أوصى بالعفو عنها يكون بهذا قد علَّم وعمل بعكس ما يعلم به الناموس ولو أمر برجمها، فما الجديد الذي أتى به؟! كما أنه كيهودي لا يمتلك سلطة لقتل إنسان بالرجم فهذه كانت للرومان حكام البلاد (يو١٨: ٣١).

ما فعله الرب لتبرئة المرأة نتعلَّم منه هذه الدروس:

١- **قال لهم الرب: «مَنْ كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر!»:** لقد تسابقوا في مَن سيكون له نصيب الرمية الأولى لرجم هذه المرأة التي لا يوجد لديها أي أمل في النجاة وقد أجمع المفسرون أن الرب كان يقصد من منكم بلا خطية من هذا النوع أي ذات النوع الذي سقطت فيه المرأة الخاطئة وهو الزنى والمفاجأة لنا لكنها لم تكن مفاجأة للرب، فلقد كان يعلم من البداية أن الدائنين هم أيضًا مدانون، فبكل أسف حتى الشيوخ كانت علتهم هذه الخطية، ففي محضر الديَّان كشفت الأفكار، حتى آراء القلوب أُظهرت، فخرج الجميع واحدًا واحدًا ابتداء من الشيوخ إلى الآخرين. لقد وقعوا في الإسقاط، فأسقطوا ما فعلوه على هذه المرأة وما كان يجب أن يدينوه في أنفسهم أدانوه وبشدة في هذه المرأة.

٢- **واجه عنها المشتكين:** لا نعلم ماذا كتب الرب في المرة

الأولى عندما انحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه، ولا نعلم ماذا كان يكتب في المرة الثانية عندما انحنى لأسفل، هل مرة كتب أسماءهم ومرة كتب أمام كل اسم الخطايا كما يُخمن البعض، لكن بحسب ظني أن الرب رقيق المشاعر انحنى لكي لا يعمق فيهم الشعور بالحرج لسبب خطاياهم المشينة التي كشفها، فأعطاهم بهذا فرصة للخروج من حضرتهم بدون إحراج لهم أكثر وبالتالي تتبرأ هذه المسكينة من هؤلاء الذين رغم أنهم لم يرجموها بحجارتهم، لكنهم رجموها بنظراتهم وعندما رفع رأسه لم يجد سوى المرأة، فقال لها: «أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أمَا دانك أحد؟ فقالت: لا أحد، يا سيد! فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك». فأراد الرب أن يوضح لها أنه دافع عنها أمام المُشتكين عليها، وأنه يشترك معها في أن الآخرين يشتكون عليه هو أيضًا (يو٨ : ٦).

٣- **علَّمها درسًا عن النعمة التي تعلِّم أن «ننكر الفجور والشهوات العالمية»:** فعندما قال لها الرب: «ولا أنا أدينك»، عقب بالقول: «اذهبي ولا تخطيء أيضًا» (يو٨: ١١). فالنعمة والغفران لا يعلِّمانا التسيب، ولا يعطينا الحق أن نُعطي فرصة للجسد، بل بالعكس، فمطاليب النعمة من جهة حياة القداسة أكثر من مطاليب الناموس، لكن الفارق أن النعمة تعطي قوة للتنفيذ فتذوقنا نعمة الله وصفحه وغفرانه يعمق فينا الخجل من حالتنا ويجعلنا نكره الضعف والخطية لئلا نجرح مشاعر من قدم لنا هذه المحبة الحقيقية، عندما نجانا من الدينونة، فاحتملها عوضًا عنا، فالرب على الصليب لم تقع عليها حجارة كنا سنُرجم بها، بل انصبت عليه كل الدينونة والغضب.

نلاحظ أن الرب لم يُبرِّر خطأها أو يلتمس لها الأعذار أو يخفف من وطأة الذنب الذي فعلته لكنه استخدم الحق والمحبة معًا، القداسة والنعمة في توازن تام لكي يُبرر الخاطئة ويدين الخطية في نفس الوقت بالإضافة إلى أنه منحها القوة لكي لا تعود مرة أخرى للخطية.

حقًا يا لروعة ربنا! فمع أن له حق الدينونة لاعتبارات قداسته المطلقة ولأجل أن الآب أعطى كل الدينونة له (يو٥: ٢٢)، لكن عندما يدخل محضره الخاطئ يحظى بالعفو العظيم، فمَن نحن لندين الآخرين؟! ليتنا نكف عن الإدانة في محضر الديَّان.

***

١٠

مواهب الروح القدس

قراءات

(أفسس ٤: ٧-١٥؛

رومية١٢: ٤-١٢؛ ١

كو١٢: ٤-٧، ١١)

سُميت مواهب الروح القدس لأن الروح القدس هو مصدرها، ولأنها تمارس بقوة وعمل الروح القدس، لهذا يُقال إن فلان ممسوح؛ أي مؤيَّد بقوة الروح القدس في خدمته وفي كلامه وتسمت مواهب لأنه تُعطَى كهبة على أساس النعمة وليس على أساس الاستحقاق.

لنتأمل في عدة نقاط محددة:

١- **المواهب وسكنى الروح القدس:** لا توجد مواهب روحية للخاطئ (للتأكيد راجع موقف سيمون الساحر مع بطرس عندما أراد أن يقتني موهبة الله بدراهم وتم رفض طلبه في سفر الأعمال ٨: ١٩-٢٠)، حتى وإن ادعى أنه يمتلك مواهب فائقة.

إذًا المواهب مرتبطة بسُكنى الروح القدس الذي يسكن في جميع المؤمنين أفرادًا (١كو٦: ١٩)، ويسكن في الكنيسة كجماعة (١كو٣: ١٦).

٢- **المواهب والملء بالروح القدس:** معروف أن كل المؤمنين ساكن فيهم الروح القدس ولكن ليس كل المؤمنين ممتلئين من الروح القدس وليس كل مؤمن يظل دائمًا ممتلئًا من الروح القدس على طول الخط والملء مرتبط بالاستخدام للمواهب، فحتى خدمة مثل الشموسية تحتاج للملء من الروح القدس (أعمال٧: ٣)، فعمل الله يتم إلا بواسطة الله الروح القدس.

٣- **المواهب والوزنات:** الوزنات هي الإمكانات الطبيعية أو الإناء التي تُوضع فيها الموهبة (مت ٢٥: ١٩)، فلا يمكن أن يعطي الله موهبة التعليم لشخص لا يعرف أن يوصل معلومة، أو موهبة التبشير لشخص غير غيور على خلاص النفوس، فدائمًا يسبق الموهبة وزنات حبَانَا بها الرب ربما من البطن. وبالمناسبة الوزنات موجودة في المؤمن وفي الخاطئ، مع الفارق أن الوزنات يلمع استخدامها في المؤمن عند اقترانها بمواهب روحية، فمن الوزنات مثلاً: الذكاء، الصحة، اللياقة، الروح الاجتماعية .. إلخ. وهذه كلها يمكن أن تساعد المؤمن في استخدام مواهبه الروحية.

٤- **المواهب والأقانيم الثلاثة:** كما اتضح من خلال قراءة للثلاثة أماكن في مستهل المقال أن المواهب التي يعطيها الآب مذكورة في رومية ١٢؛ والمواهب التي يعطيها الابن مذكورة في أفسس ٤؛ والمواهب التي يعطيها الروح القدس مذكورة في ١كورنثوس١٢.

٥- **المواهب والينبوع:** جاء في يوحنا ٧: ٣٨: «في اليوم الأخير العظيم من العيد قال الرب يسوع: مَنْ آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي». وسبق في يوحنا في أصحاح ٤ : ١٤ وتكلَّم عن المياه بالقول: «ولكن مَن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد». في يوحنا ٤ تكلَّم عن الماء بالارتباط بالإيمان به وفي هذا إشارة لسكنى الروح القدس، وفي يوحنا ٧ جاء الماء بالارتباط بالخدمة، وهذه كلها أمثلة للمواهب وليست حصرًا لها. فمثلاً خدمة الأعوان تضم مواهب الأشخاص الذين يخدمون في الأمور الإدارية مثل تنظيم المؤتمرات أو المباني أو المكتبة ... وغيرها. ومثال أيضًا الخدمة وسط مدارس الأحد أو الأحداث وغيرها. وهكذا نرى أن هناك مواهب أخرى متنوعة لازمة لنمو وبنيان الكنيسة لم تُذكر بصريح اللفظ لكنها قد تظهر مع الوقت وتتغير من جيل إلى جيل ولكنها كلها مصدرها الروح القدس العامل في المؤمن.

٦- **المواهب والتنوع:** في رومية ١٢: ٤-٥ ؛ ١كورنثوس١٢: ٥ ذكر أن هناك مواهب متعددة، فالجسد كأعضاء لا ينفع أن يكون عضوًا واحدًا، وكذلك المؤمنون كأعضاء في جسد المسيح، فنرى في الثلاثة مواضع إشارات لمواهب متنوعة.

(انظر رومية ١٢ وأفسس٤ و١كورنثوس الأولى ١٢).

٧- **المواهب والمحبة:** نجد ثلاثة أصحاحات شهيرة في رسالة كورنثوس الأولى، أصحاح ١٢ أصحاح المواهب، وأصحاح ١٤ أصحاح ممارسة المواهب، وأصحاح ١٣ الذي في المنتصف هو أصحاح المحبة، فنفهم من هذا أنه لكي تُمارَس المواهب للبنيان، يجب أن تُمارس في جو من المحبة لأننا يمكن أن نُمارس المواهب بدون محبة حقيقة وهذا ما فعله مؤمني كورنثوس إذ كان بينهم صراعات وتحزبات رغم أنهم كانوا أصحاب مواهب متميزة.

٨- **المواهب وفائدتها:** ذكر عن عمل المواهب «إظهار الروح للمنفعة» (١كو١٢: ٧)، فالموهبة التي لا تؤول للبنيان على الآخرين، يجب على ممارسها مراجعة نفسه، إذا كان عنده موهبة من الأساس.

فالموهبة هي لبنيان المؤمنين (أف٤: ١٦)، ونضوجهم (أف٤: ١٣)، فالرب لا يعطيها لبينان الشخص الذي أخذها، إنما لبنيان جسد المسيح.

٩- **المواهب واكتشافها:** تحتاج لبيئة مناسبة مشجعة وتحتاج أن نبدأ ولو بخدمة قليلة والأمين في القليل الرب يقيمه على الكثير، فصموئيل بدأ ينظف السُرج في الهيكل والرب اعتبرها خدمة له، حيث ذكر: «وكان صموئيل يخدم الرب أمام عالي» (١صم ٣: ١). وأليشع كان يصب ماء على يدي إيليا (٢مل٣: ١١). إن كل مؤمن عنده موهبة أو مواهب عليها أن يكتشفها ولكي يكتشفها يجب أن يكون في شركة مع المؤمنين، فالمواهب لا تُمارَس بين الشخص ونفسه، إنما بين الشخص وآخرين، لبنيان الآخرين (للتأكيد أن لكل شخص موهبة اقرأ من فضلك ١كو١٢: ٧، ١١؛ ١كو١٥: ٣٨؛ أف ٤: ٧؛ ١بط ٤: ٩).

ومعروف من البداية أن المواهب تمارَس في أكثر من اتجاه لحين أن يلمِّع الرب اتجاهً أكثر من الآخر، وهذا يتضح بتشجيع شركاء الخدمة وبتشجيع مَنْ اتجهت إليهم ممارسة الموهبة، وبانفتاح باب مُحدَّد للخدمة في مجال معيَّن باستخدام موهبة معيَّنة يجب احترامها.

١٠- **الموهبة ونهايتها:** قال الرب بلغة التحذير لملاك كنيسة أفسس: «وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها، إن لم تتب» (رؤ ٢: ٥). فتاريخ الشخص وطول خدمته لن يشفع له، فلعلنا نذكر إيليا والرب يقول له، «وامسح أليشع بن

شافاط من آبل محولة نبيًا عوضًا عنك» (١مل ١٩:١٦)؛ بمعنى "اركن على الرف"، صحيح أن الرب حافظ على تاريخ إيليا وأصعده حيًا في مركبة وهو في أبهى صورة أمام بني إسرائيل، لكن لا ينفي أن الرب نحَّاه من الخدمة، وكان السبب أنه تحوَّل ليشتكي الشعب أمام الله، بدلاً من أن يتشفع لأجلهم (رو١١: ٢).

وهناك أمر آخر يجعل الرب لا أن يرفض خدمتنا فقط، بل لا يمتعنا بحضوره الإلهي ألا وهو: عدم القداسة «القداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب» (عب ١٢:١٤).

وفي الختام، تشجّع .. إنه لا توجد موهبة وُلدت كبيرة أو مُورست بطريقة صحيحة مئة بالمئة، لكن كل المواهب كان بها نقائص وأصحابها وجدوا مَنْ شجعوهم وأخذوا بأيديهم إلى أن نضجوا في خدمة الرب.

ليتنا بدورنا نشجّع مَن يضعهم الرب في طريقنا، مثلما وجدنا مَن شجعونا في يوم من الأيام.

***

١١

فهو يبقى أمينًا

العبارة التي بمُستهل المقال واحدة من العبارات التي يُساء فهمها، فنفهمها عكس المعنى الذي تقصده القرينة. فالعبارة «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينًا، لن يقدر أن يُنكر نفسه» (٢تي ٢: ١٣)، يفهمها البعض خطأ أنه مهما صدر منا من عدم أمانة سيظل الرب أمينًا معنا، كما لو كان الرب في صفنا على طول الخط حتى ولو كنا في حالة لا تتناسب مع مطاليب قداسته.

هذا الفكر ربما يُريح بعض المُتساهلين في الحياة، لكنه لا يتناسب مع فكر الرب المدوَّن في الوحي المُقدس، فالفهم الصحيح كما نفهم مما كتبه رجال الله الأفاضل: إذا كنا غير أُمناء، من جهة مطاليب قداسته، فهو سيبقى أمينًا من جهة إرساء مطاليب قداسته، مما يضطره في بعض الأحيان يوقع التأديب لا لهدف سوى ما ذكره كاتب العبرانيين «لكي نشترك في قداسته» (عب ١٢: ١٠).

فلأننا في أيام أخيرة ومستوى القداسة العملية للمؤمنين للأسف في نزول، وحتى على المستوى الكنسي الأمور لم تعد كما كانت من قبل، ولم تعد كما تعلمناها من كلمة الله، فما أكثر حالات التساهل تحت مبدأ المُعاملة بالنعمة، لكن مهما نزل مستوى القداسة العملية

على المستوى الشخصي أو الكنسي، فالله لن ينزل بمستوى القداسة معنا، فقد يتغير العصر وتزداد صور المدنية وقد يزداد شر المجتمع، لكن سيبقى شخص الرب في صفاته «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد» (عب١٣: ٨) وعدم تغييره يعني أن محبته نحونا لا يمكن أن تكون على حساب قداسته وبره فصفاته متزنة تمامًا أما إذا كنا نفهم خلاف ذلك فنحن نخفض من مقاييس الله الكاملة لتتفق مع حالتنا الروحية الهزيلة وهذا أمر مستحيل.

لنا في كلمة الرب بعض الأمثلة التي تؤكد هذا:

١- **يشوع ورئيس جند الرب:** كان قد قال الرب ليشوع: «تقدسوا لأن الرب يعمل غدًا في وسطكم عجائب» (يش ٣: ٥). فقداسة اليوم تضمن عجائب الغد، عندما ظهر الرب ليشوع كرئيس جند الرب مُنبهًا إياه لأهمية القداسة العملية، فما كان من يشوع أنه سأله: «هل أنت لنا أو لأعدائنا؟» ولم يجبه رئيس جند الرب عن هذا السؤال وكأنه يقول له: سأكون معكم في حالة القداسة العملية مثلما حدث في حالة سقوط أسوار أريحا، وأكون عليكم في حالة التساهل مثلما حدث في حالة الانكسار أمام عاي عندما خانَ عخان خيانة في الحرام.

٢- **سليمان المحبوب وتأديب الرب:** سليمان اسمه «يديديًّا» ومعناه أي «المحبوب من الرب»، لكن عندما زاغ من وراء الرب

أقام الرب ضده الخصم تلو الآخر فتحقق فيه القول: «الذي يُحبه الرب يؤدبه» (عب١٢: ٦).

٣- **داود ومبدأ الزرع والحصاد:** داود من الشخصيات المحورية في كلمة الله وشهد عنه الرب: «وجدت داود ابن يسَّى رجلاً حسب قلبي» (أع ١٣: ٢٢) ومع ذلك نراه أكثر الشخصيات في كلمة الله التي نرى فيها حصادًا لزرع رديء، تم زرعه هذا في واقعة سقوطه المعروفة وذلك لأن «الله لا يُشمَخ عليه (لا يُخدَع) فإن الذي يزرعه الإنسان إيَّاه يحصد أيضًا» (غلا ٦: ٧).

ليتنا نقترب من الرب ونتأمل كيف أنه يُبغض الشَّر، «لست أطيق الإثم والاعتكاف» (إش١: ١٣) «وعيناه أطهر من أن تنظرَا الشر» (حب١: ١٣)، فنرى الخطية بعينيه مثلما رآها يوسف «فكيف أصنع هذا الشَّر العظيم وأُخطي إلى الله؟» (تك ٣٩: ٩)، فلا نتأثر إذن بفساد المُجتمع ولا بتساهل المؤمنين من حولنا، ونحرص على الشركة المستمرة مع الرب لكي نُحفظ من الخطية وتأثيرها.

والمؤمن المتدرِّب قدام الرب في ضوء محضره، يزداد مستوى قداسته العملية عبر السنوات، لكن لنحترس فإن لم نعش بحسب فكر الرب من جهة قداسته، فالله له الكثير من المعاملات التي يصل بنا بها إلى العيشة بالأمانة والقداسة العملية.

ليتنا «نُطهِّر ذواتنا من دنس الجسد والروح، مُكملين القداسة في خوف الله» (٢كو٧:١).

١٢

بيلي جراهام
الكارز البسيط

رَحَــلَ رجــل الله المقــدَّس، بيلــي جراهام، فـي فبراير ٢٠١٨ بعد حياة حافلة مكرسة، وعمر ناهز المئة عام، فتكلَّم العالم المسيحي كله عن حياة هذا البطل الكارز والمؤثر. ولا أكون مبالغًا لو قلت عنه إنه الأشهر والأكثر تأثيرًا وسط الكارزين على مستوى العالم في جيلنا المعاصر والأجيال التي سبقتنا، لأنه عاصر أكثر من جيل.

لقد حظي باحترام بالغ وتقدير عظيم، وكانت له هيبة سماوية، على مستوى كل رؤساء الولايات المتحدة الذين عاصروه. لذلك استحق أن تُعمَل له جنازة ملكية يحضرها الرئيس الأمريكي ونائبه وكبار رجال الدولة. وكان هذا ما يليق به لأنه أفنى حياته في خدمة السيِّد الذي قال: «حاشا لي فإني أُكرم الذين يُكرمونني» (١صم٢:

٣٠)، وأيضًا «إن كان أحد يخدمني يُكرمه الآب» (يو١٢: ٢٦). كان لا يحابي بالوجوه، ويدافع عن الحق بكل قوة ويتصدى لكل تيارات الشَّر الجارفة مهما كانت الكلفة، وكان يحترم كلمة الله إلى أقصى حد. ولقد تابعت منذ سنوات بعض خدمات هذا البطل لأرى لماذا هذا التأثير الرهيب من وراء خدماته، للدرجة التي كان يحضر له مئات الآلاف، وربح في مدار حياته الملايين. بالتأكيد هناك عدة أسباب وراء تأثير بيلي جراهام الطاغي، حيث أن الذين يلمعون تحت الأضواء الكاشفة عادة ما يكون وراء ذلك تدريبات في السر لا يعلمها أحد غيرهم والرب والمقربون منهم. وبالتأكيد أنه كان رجل صلاة من الطراز الأول، وكان يعيش حياة تقوية مقدَّسة ومكرَّسة على أعلى مستوى، وكان مؤيَّدًا بقوة الروح القدس، وكان حقيقيًا لا يعرف التمثيل، وكان متضعًا لا يبحث عن النجومية، وكان رجل الكتاب ولا يُقدم للنفوس سوى كلمة الله دون غش. لكن أحد هذه الأسباب يستطيع أن يلمحه أي مستمع له هو البساطة في الأسلوب، لدرجة أن أي متابع له يلاحظ أنه كيف بأبسط الكلمات تخلص النفوس. فهو لا يقدم عظة دسمة كتابية على قدر ما يقدم رسالة الإنجيل واضحة للنفوس. لا يقدم معلومات عسرة الفهم، بل يقدم عبارات يفهمها الجميع تصل للمستمع من أقصر طريق. ولقد تعلَّمت منه أن العظمة الحقيقية للخادم، ليست في عمق البلاغة والفصاحة والفلسفة وقوة الإقناع، إنما في عمق التأثير والوصول للنفوس وما سيُترك فيهم. هذا ما كان يفعله بولس حيث لم يعتمد

قط على كلام الحكمة الإنسانية المقنع بل على برهان الروح والقوة (١كو٢). والواعظ يؤثر في الآخرين بقدر تواصله مع من يسمعونه.

ولنا في كلمة الله دروس عظيمة عن بساطة الخادم وأسلوبه :

١- **طريق الخلاص بسيط:** في أحد الرموز لصليب المسيح نقرأ عن «الحيَّة النحاسية» (عد٢١)، ومَن ينظر إليها بإيمان كان يحيا رغم سُم الحيَّات المُحْرِقَة. كذلك «مدن الملجأ» في يشوع ٢٠، والرب أمر بأن يكون الطريق المؤدي لهذه المدن مُمهَّدًا لكي يهرب إليها، ولا يجد عائقًا، مَن قتل نفسًا سهوًا، فيجد فيها الحماية. فبأبسط الكلمات تخلص النفوس. قال بولس بالوحي: «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها، لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو١٠: ٨ و٩).

٢- **بساطة الرب يسوع:** ليتنا نعود للبساطة مرة أخرى، فكم من المرات علونا بالكلام أكبر من طاقة المستمعين ونسينا أن الرب يسوع، وهو أعظم كارز، كان يعظ ببساطة «وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلِّمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا» (مر ٤: ٣٣)، أي كان يراعي طاقتهم الاستيعابية ويراعي طاقتهم الذهنية. لقد تجسد لكي يصل إلينا ويتكلَّم بلغتنا ويستخدم نفس تعبيراتنا ويوضح مفاهيم روحية عالية بأبسط التشبيهات: خمر وعجين وشبكة وسراج

وخروف وزرع وبذور طيور وزهور ... إلخ. ومرات لم يكتفِ ببساطة الأمثال، لكنه كان أيضًا يفسر لهم مدلولها. في بساطة كان يسمعه الجميع، ألا يلفت انتباهنا وجود غلام، وهو صاحب الأرغفة والسمكتين، وسط الجموع الغفيرة التي جلست تسمع الرب؟ لو كان الكلام عاليًا ولا يُناسبه، هل كان سيجلس ويبقى معهم هذه الفترة الطويلة؟! فكلام الرب وحتى كلمات الكتاب المقدس يفهمها الطفل والعالِم في ذات الوقت، لكننا نحن الذين صعَّبنا الطريق على شعب الرب.

٣- **البساطة ونوعية المستمعين:** الحديث الذي اتبعه الرب مع السامريَّة (يو ٤) أبسط من الحديث الذي انتهجه الرب مع نيقوديموس (يو ٣)، ومادة الحديث مختلفة. فالرب راعى احتياج المستمع، فاحتياج نيقوديموس المتدين كان للولادة من فوق ويستطيع الرب أن يكلِّمه بوضوح وباختصار عن حادثة الحيَّة النحاسية التي رفعها موسى ويستوعبها نيقوديموس، لكن مع السامريَّة الحديث اختلف، فاحتياج السامرية المزواجة كان للارتواء من مياه إذا شربت منها لن تعطش أبدًا. فلكي نتواصل مع المخدومين علينا أن نخاطب تسديد احتياجهم الحقيقي من خلال كلمة الله. ماذا لو خدمنا وسط القرويين؟ هل سنخدم بذات الأسلوب الذي نخدم به في المدينة؟ ماذا لو خدمنا الفقراء واجتماع الأرامل؟ هل سنقدم مصطلحات تعوَّدناها وهم لا يفهمون أبعادها؟

٤- **بساطة بولس:** البعض يقول عن بولس فيلسوف المسيحية

لعمق المادة التي يقدمها، حتى بطرس نفسه قال عن إحدى رسائله: «فيها أشياء عسرة الفهم» (٢بط ٣: ١٦). لكن تعالوا نرى ماذا يقول بولس عن خدمته: «الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به، إذ صرتم متباطئ المسامع» (عب ٥: ١١). فما منع بولس عن عمق الكلام بُطء استماع وفهم العبرانيين. وقال لإخوة كورنثوس: «لم أستطع أن أُكلِّمكم كروحيين، بل كجسدين كأطفال في المسيح، سقيتكم لبنًا لا طعامًا لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل الآن أيضًا لا تستطيعون» (١كو٣: ١، ٢). ومعروف أن اللبن العقلي للأطفال وأما الطعام القوي فللبالغين (عب ٥: ١٤). البعض يقول إن بولس قال لقسوس كنيسة أفسس إنه لم يؤخر شيئًا من الفوائد إلا وأخبرهم بها (أع ٢٠: ٢٠)، لكن راعي أن هذا حدث في ثلاث سنوات وليس في عظة واحدة. البعض يريد أن يقول في العظة كل ما يعرفه! ويتوه معه المستمع في كم التفريعات والمعلومات الكثيرة.

لذا يُحذر بولس مؤمني كولوسي من الانقياد وراء الفلسفة البشرية والغرور الإنساني الباطل أي المفاهيم التي تملأ الأذهان فقط بدون أي فائدة روحية (كو٢: ٨)

حقًا ليتنا نعود إلى بساطة المسيحية وبساطة رسالة الإنجيل، فإن كان التعقيد هو سمة العصر، فانعكس هذا دون أن ندري على الخدمة، ربما لأننا ظننا أن هذا هو الخادم العميق، أو لكي نرضي غرور بعض السامعين، لكن الرب كان في المجامع يخاطب البسطاء وليس الكتبة والفريسيين.

ليتنا نراعي وقت الخدمة، فالعظة في تأثيرها ليس بطولها، لكن بعمق ووضوح كلماتها، فالرب يقدر أن يخلص بالقليل كما بالكثير (١صم ١٤: ٦)، فكونك مركزًا ومختصرًا ومهدفًا وواضحًا في خدمتك أفضل من أن تكون معقدًا ومُملاً في أسلوبك، هذا سيفرق في استماعهم لك في المرات التالية.

كوننا نقدم عظة بسيطة وتصل بنسبة ١٠٠% أفضل من عظة عميقة ومليئة بالتفاصيل وتصل بنسبة ٥٠ %.

لقد رحل بيلي جراهام وترك أعظم الدروس التي لن تُمحَى من التاريخ المسيحي. فأعظم كارز ومُبشِّر كان بسيطًا في عباراته وفي كلماته، محدَّدًا ومهدَّفًا في رسالته. فهل اتخذنا من حياته وخدمته عبرة؟

* * *

١٣

عفواً لقد نفد رصيدكم

قد يظن البعض أن الله يتمهل على البشر سواء مؤمنين أو خطاة إلى المنتهى، لكن الحقيقة أن أناة الله محدودة وقد نصل في مرحلة معينة أن نستنفد كل معاملاته معنا، ومن ثم نستوجب الحُكم.

ونأخذ من كلمة الله بعض الأمثلة التي تثبت ذلك:

⬅ أولاً: أمثلة لخطاة:

١- **الطوفان وتقليل الفترة من ١٢٠ إلى ١٠٠ سنة:** في سفر التكوين أصحاح ٦ كانت لله أناة على شر الإنسان في أيام نوح، لكن عندما رأى أن نهاية كل بشر قد أتت أمامه، قال إنه بعد ١٢٠ سنة سيأتي طوفان على الأرض وكان حينئذ عمر نوح ٥٠٠ سنة. وعندما كان عمر نوح ٦٠٠ سنة قال الله لنوح ادخل أنت وبنوك إلى الفلك ولم يكمل الـ ١٢٠ سنة كلها، لقد نفد رصيد أناة الله معهم، فلم يظهروا التجاوب مع هذه المعاملات، فمن ثم وقع القضاء.

٢- **مكيال ذنب الأموريين عندما كَمَل:** قال الرب لإبراهيم إنه سيُبيد شعوب الأرض أمام شعبه، كلهم أكملوا مكيال شرَّهم ما عدا الأموريين، فقال الرب لإبراهيم إن ذنب الأموريين ليس إلى الآن

كاملاً (تك ١٥: ١٦)، وأيام يشوع عندما كَمَل ذنب هذا الشعب، أباد الرب هذه الشعوب بشرِّها من أمام الشعب، رغم أنه انتظر وصبر عليهم مدة طويلة تقارب ٤٧٠ سنة.

٣- **سدُوم عندما صعد شرَّها للسماء:** قال الرب لإبراهيم إن أهل سدوم شرُّهم قد صعد أمام الرب، وليس هناك من برهان على فساد هذه المدينة إلا في محاولتهم ممارسة الفحشاء حتى مع الملاكين الزائرين للوط «فنادوا لوط وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة؟ أخرجهما إلينا لنعرفهما» (تك ١٩: ٥)، ورغم محاولات إبراهيم للتشفع لأجل سدُوم ولأجل لوط في ذات الوقت، لم يجد الرب في سدُوم عشرة أبرار، فلم يكن سوى واحد فقط وهو لوط (تك ١٨: ٣٢)، ولما توانى لوط للخروج من المدينة أخرجه الملاكان عُنوة وأمطر الرب على سدُوم وعمُورة نارًا وكبريتًا، للدرجة التي فيها رمَّد هاتين المدينتين.

٤- **فرعون وقساوة قلبه:** عشر ضربات متتالية نزلت على مصر والمصريين، كأن الرب من خلال كل ضربة يقدم إنذارًا لفرعون، فلم يقدم إنذارًا واحدًا أو اثنين، بل عشرة وكان الإنذار العاشر هو: قتل الأبكار، ثم بعدها غاص فرعون وجنوده كالرصاص في مياه غامرة في البحر الأحمر، لقد استهانا بطول أناة الله معه وغني لطفه فلم يقوده هذا إلى التوبة.

٥- **شاول عندما لم يَعد الله يكلِّمه:** فلسبب أخطاء شاول المتكررة

وعدم احترامه لصوت الرب وعدم تقديره لنعمة الله التي جعلته ملكًا على الشعب، لم يعد الرب يكلِّمه بالرؤى أو بالأحلام ولا بالأُوريم ولا بالأنبياء (١صم ٢٨: ٦)، فبدلاً من أن يسأل شاول لماذا لم يُجبه الرب، نجده يذهب للعرَّافة مُتنكرًا لكي يعرف منها رأي الرب عند طريق إصعاد صموئيل.

٦- **الغني الذي قال له إبراهيم اذكر أنك استوفيت:** في لوقا ١٦ ذكر الرب قصة حقيقة وهي لعازر والغني، ومن خلالها عندما رفع الغني عينيه وهو في الهاوية وتكلَّم مع أبينا إبراهيم ليسأله سؤالين: الأول، عن تخفيف العذاب بإرسال لعازر ليبرِّد لسانه بنقطة ماء لأنه معذَّب في اللهيب، والطلب الثاني، يُرسله لإخوته الذين ما زالوا أحياء لكي لا يأتوا إلى موضع العذاب، والطلبان رفضَا، إذ قال له إبراهيم: «اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك» (لو١٦: ٢٥) وكأنه يقول له: "لقد نفد رصيدك" لقد استنفدت رصيد الفرص المتاحة لتحيا لله لكنك عشت لذاتك.

٧- **الغَني الغبى:** لقد أعطاه الرب متسعًا من النجاح والازدهار، ربما يحسده المعاصرون له، للدرجة التي فيها اضطر أن يفكِّر في أن يهدم مخازنه ويبنى أعظم، لقد تمت فيه المعاملات: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟» (رو ٢:٤). لقد أعطاه الله لُطفًا ولم يستفد به، فكان في كل مرة يؤجِّل التوبة يخزِّن دينونة لنفسه إلى أن استوجب الغضب على نفسه «في هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعدتها لمَن تكون؟» (لو١٢: ٢٠). لقد ظن أن رصيد العمر سيكون للأبد، ولم

يخطر بباله أنه سيأتي وقت وينفد هذا الرصيد! لقد ظن أنه سيعيش سنين هذه عددها ولم يخطر بباله أنه ليس له سوى بضع دقائق لأن رصيد عمره قد نفد.

٨- **شجرة الأناة المحدودة:** في مَثَل الشجرة والكرَّام، ثلاث سنوات يأتي يطلب منها ثمرًا، بحسب الشريعة تُركت الثلاث السنوات الأولي لا يُطلب منها الثمر (لا ١٩: ٢٣)، وطلب منها في الرابعة والخامس والسادسة ولم يجد ثمرًا، ثلاث سنوات إحباط لصاحب الشجرة عندما لم يجد فيها ثمر، فطلب من الكرَّام: «اقطعها! لماذا تبطِّل الأرض أيضًا؟»، فأجاب الكرَّام بأن تُترَك سنة واحدة فقط وبعدها تُقطَع، فالأناة ليست للمنتهى، بل سنة واحدة فقط، لعلها يُستفاد منها. ومن كرم الكرَّام اعتبر أن التقصير منه وكأنه يقول: أعطني فرصة لأن التقصير ربما يكون مني، ربما لم أضع زبلاً كفاية، سأضع زبلاً حولها، ربما لم أنقب كما يجب سأنقب حولها (لو ١٣: ٨)، سأحاول معها كما لو لم أحاول من قبل وفي ظنه أن هناك رجاء أن سنة الأناة ستأتي بثمر، ولكن للأسف السنة لها بداية ولها أيضًا نهاية حتمية.

✍ ثانيًا: لنأخذ بعض الأمثلة لمؤمنين:

١- **موسى:** عندما لم يقدس الرب أمام أعين الشعب: بدلاً من أن يكلِّم موسى الصخرة، ضربها، فكان غضب الرب عليه أنه لا يدخل أرض كنعان، وعندما توسَّل للرب مرة أخرى قال له الرب: «كفاك! لا تعد تكلِّمني أيضًا في هذا الأمر» (تث ٣:٢٦).

٢- **إيليا:** لقد ظن إيليا أنه الوحيد الذي يخدم الرب بأمانة، ولا يوجد في المشهد غيره هذا بالمقابلة بعدم أمانة الشعب، فبدلاً من أن يتشفَّع إيليا لأجل الشعب، نراه يشتكي الشعب: «... وبقيت أنا وحدي» (١مل١٩: ١٠)، فما كان من الله أنه قال له الحقيقة: لست وحدك الأمين، فهناك سبعة آلاف ركبة أخرى لم تنحن لبعل، وكان الحُكم الإلهي لخدمة إيليا لقد نفد رصيدك، فلم يشفع له كل رصيد الماضي من خدمة، للدرجة التي قال له الرب: «امسح أليشع بن شافاط عوضًا عنك» (١مل١٩: ١٦). وماذا عن خدمتنا؟ هل من الممكن أن الرب يستغنى عنها؟ هل من الممكن أن ينحينا جانبًا؟ هل من الممكن أن يزحزح منارتنا ويعطي إكليلنا لآخر؟ هذا ما حدث مع إيليا ومن الممكن أن يحدث معنا.

٣- **داود:** لقد كسر أربع وصايا دفعة واحدة، عندما سقط سقطته المُشينة، لقد ستر الرب على داود وهكذا يستر علينا، لكن لأن داود تستَّر على الخطأ ولم يعترف به وكأنه لم يفعل شيئًا وحاول بكافة الطرق ستر الأمر قدام الناس ولم يحاول أن يستره بالتوبة والاعتراف قدام الرب، فكان تقرير الوحي: «... وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب» (٢صم١١: ٢٧)، وبعد أن احتضن داود الشَّر سنة تقريبًا ولم يعترف به وتحمَّل كل تبعات نتائج انقطاع الشركة، حينئذ كان الحصاد المرير، فقد فعل في السر وحصد في ضوء الشمس، حقًا سيظل المبدأ قائمًا: «لا تضلوا!

الله لا يُشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إيَّاه يحصد أيضًا» (غلا ٦: ٧).

ليتنا نستفيد من معاملات النعمة ومعاملات الرب معنا في الحياة، كخطاة نستفيد من زمن النعمة المحدود لئلا نجد أنفسنا في يوم الانتقام، وكمؤمنين وخدام نستفيد من كل معاملات نعمته معنا ونستثمر الوزنات والمواهب أفضل استثمار، ليتنا جميعًا نسمع لقول الكتاب «احسبوا أناة ربنا خلاصًا» (٢بط٣: ١٥).

***

١٤

د. أحمد خالد توفيق
ومواجهة الموت

إن الموت المفاجئ للروائي د. أحمد خالد، قد أصاب معارفه وقرَّاءه بالصدمة الشديدة، ليس فقط لسبب كتاباته التي أثرت في الكثيرين، ولا لسبب موته المُبكِّر في سن العطاء – وهو ٥٥ سنة – ولكن أيضًا لسبب كتاباته عن الموت،

فقد تنبأ في كتاباته عن موته. إن هناك بعض الأشخاص تكتب أيديهم وتنطق ألسنتهم كلمات قد تتحقق بعد سنوات، وكان الكاتب الراحل أحمد خالد توفيق واحدًا من هؤلاء الأشخاص، ففي كتابه "قهوة باليورانيوم" الصادر عام ٢٠١٢ ص ٦٢ كتب هذه الكلمات: "اليوم .. كان من الوارد جدًا أن يكون موعد دفني هو الأحد ٣ إبريل ٢٠١٨ بعد صلاة الظهر".

كُتبت هذه الكلمات كغيرها من الكلمات التي يكتبها خالد توفيق في كتبه ومقالاته، ولكنه لم يدرك أن هذه المقولة تحديدًا ستتحقق بعد مرور ٦ سنوات من كتابتها، فاليوم ٣ إبريل هو يوم دفن كاتب هذه الكلمات بالفعل، بعد تعرضه لأزمة صحية أودت بحياته عن عمر يناهز ٥٥ عامًا.

و"شيِّر" الكثيرون على "الفيس" عباراته الأخيرة التي قال فيها بالنص:

"أنا يا رفاق أخشى الموت كثيرًا .. ولست من هؤلاء المدعين الذين يرددون في فخر بطولي: نحن لا نهاب الموت .. كيف لا أهاب الموت؟ وأنا غير مستعد لمواجهة خالقي. إن مَن لا يخشى الموت هو أحمق أو واهن الإيمان".

حقًا إن الموت هو ملك الأهوال (أي ١٨ : ١٤)، وهو آخر عدو (١كو١٥: ٢٦)، وفي قوَّته وقوة الهاوية (نش ٨: ٦) يمتلك العزيز ويفصله عن أقرب المقرَّبين له. وأنا لا ألوم المفكر والكاتب د. أحمد خالد توفيق فيما كتبه، فهذا حال الإنسان بصفة عامة، لكن هذا ازاد تقديري لِمَا عمله المسيح من موت وقيامة على الصليب، فكنا نحتاج إلى إيمان نعبر به الموت ولا نرى فيه سوى ظل «أيضًا إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرًا لأنك أنت معي» (مز٢٣: ٤). كنا نحتاج إلى إيمان يجعل بولس بكل افتخار يقول: «فإن محصور من الاثنين، لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم» (في١:٢٣ و٢٧)، وكأن له حرية الاختيار بين البقاء لخدمة إخوته أو الانطلاق، فكان يرجح رغبة منه في الانطلاق، لكن قَبِلَ التضحية بالبقاء لأهمية دوره معهم.

إيمان جعل سمعان البار يقول وقت انطلاقه: «الآن تطلق عبدك يا سيِّد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتَا خلاصك» (لو ٢:٢٩ و٣٠).

إيمان جعل استفانوس وهو في أصعب المشاهد يسلِّم للرب ويقول: «أيها الرب يسوع اقبل روحي» (أع ٧: ٥٩). إيمان يجعلني واثقًا عند موتي «أمَّا الصديق فواثقٌ عند موته» (أم ١٤: ٣٢)؛ لأنني في اللحظة التي فيها أغادر هذا الجسد بنفسي وبروحي أستقر مع القديسين في الفردوس وأرى المسيح وذلك أفضل جدًا، إيمان يجعلني أرفع عينيَّ عمَّا يحدث للجسد من تحلُّل ومن سقوط الأنف وتعفن البطن، كما ذكر الراوي والمفكر الذي رحل، لأن المؤمنين لن يسكنوا القبور ولن يشعروا بتحلُّل الجسد، بل ينتقل محل إقامتهم من الأرض إلى السماء.

إيمان يجعلني لا أرى للموت شوكة أو للغلبة هاوية، فلقد كَسَرها المسيح وغَلَبها يوم أن قام من الأموات لحسابنا، كاسرًا أهوال شوكة الموت.

إيمان يجعلني أحسب الحساب، فأجد أن الموت ربحٌ «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في١: ٢١).

إن المؤمن الحقيقي له يقين الحياة الأبدية وهي بالنسبة له حقيقة وليست أمل أو تمني؛ فيسوع الذي مات وقام صار باكورة الراقدين الذين يموتون في الإيمان، والموت بالنسبة لهم ليس سوى كوبري يعبرون به إلى تلك الحياة البهيجة للسكنى في محضر الله للأبد.

الحقيقة إننا نحتاج للإيمان المسيحي لكي نعبر به الأبدية ونموت على رجاء ولا نأتي إلى دينونة، ونحتاج إلى الإيمان والشعور الدائم بمعية المسيح لنواجه تحديات الحياة وتجاربها، كذلك إننا نحتاج للإيمان المسيحي لنواجه به الموت ويكون عندنا يقين من جهة النجاة من الدينونة، يقين لا نكتشف مصداقيته عندما نصل إلى هناك بل يقين يملأ قلوبنا بالسلام من ههنا، يقين مبنى على كفاية عمل المسيح على الصليب، وعلى وعود الله الصادقة المبنية على أمانته غير المتغيرة ونعمته الغنية.

لهذا كانت للفاتورة الباهظة التي دفعها المسيح على الصليب وهو يموت نيابة عنَّا: يموت موتًا هو موتنا، ويدخل قبرًا هو قبرنا، ليصبح هذا الأسد – وهو الموت – بلا أسنان وبلا رعب وينقذنا، لا فقط من الموت الجسدي، فهذا يعبره الجميع في لحظة ما من الزمن، مؤمنًا أو خاطئًا، بل ينقذنا من الموت الأبدي الذي ذكر عنه الكتاب بالنسبة للأشرار: «وأما الخائفون وغير المؤمنين والرَّجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعَبَدَة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني» (رؤ ٢١: ٨).

أخي القارئ، أختي القارئة .. هل ترهب الموت وأهواله؟ هل يزعجك كابوسه ويهددك رُعبه كل حين؟ هل تشعر بالفزع يوم تتذكَّر أنك قد يفاجئك الموت بلا مقدمة؟ فقط تعال للمسيح، ذاك

الذي غَلَبَ الموت وكَسَر شوكته بقيامته الظافرة. ثق فيه، واقبله في قلبك بالإيمان، فتغدو في سلام من جهة أبديتك، فهو وحده الذي «أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢تي١: ١٠).

***

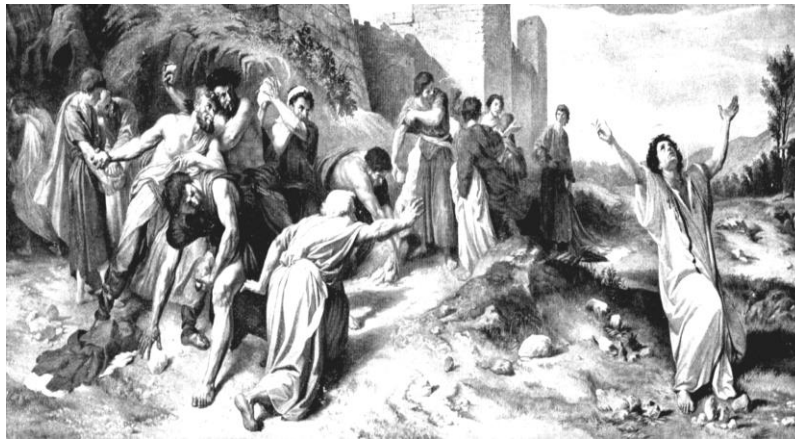

١٥

إلحقونا من كورونا!

نحن كأجيال عاصرنا عدة مواقف صعبة منها: إنفلونزا الخنازير والطيور وعاصرنا ثورتين ٢٥ يناير و٣٠ يونيو، وحظر تجوال وتوقف قطارات لبضعة شهور وتوقف النشاط الروحي والمؤتمرات خاصة بعد حادثة دير الأنبا صموئيل وفي جميعها يعظم انتصارنا بالرب، لولا معونة الرب ووجوده الحي وسط شعبه لابتلعتنا هذه الظروف أحياء، لكن وجودنا للآن أعظم شهادة لمراحم الرب وحفظه لنا كأفراد وكمجموع.

لكن يبدو أن الموقف الحالي هو أصعبهم وهو تفشي وبأ كورونا، لأنه أصبح وبأ عالميًا يحصد المئات يوميًا ويصيب الآلاف في كافة دول العالم، لهذا كانت الصرخة التي تحويها كلمات المقال من كورونا، نصرخ: الحقونا! وهذه الصرخة ليست لدولة معينة، فأكبر الدول فقدت السيطرة على الوبأ، ولعل إيطاليا تشهد بذلك ولا نصرخ إلى رئيس وزراء، فها جونسون رئيس وزراء إيطاليا يعلن في مؤتمر صحفي: "استعدوا لفراق أحبائكم!"، بل إن أكبر دولة وهي أمريكا، أعلن رئيسها صراحة بالاحتياج للصلاة، حيث كتب ترامب: "إنه لشرف عظيم لي أن أعلن يوم الأحد ١٥ مارس يومًا وطنيًا للصلاة. نحن بلد، طوال تاريخنا، نتطلع إلى الرب للحماية والقوة في مثل هذه الأوقات".

وفي هذا الجو العصيب الذي فيه تأتي التحذيرات من كل جانب والهلع ينتاب الجميع خاصة بعد توقف المدارس لمدة أسبوعين ولا نعلم ماذا يخفيه لنا الغد من خطورة تفشي المرض في بلادنا، كما تفشى في بلاد أخرى، رأيت أن ألجأ لكلمة الرب ومحضره ربما نأخذ ضوء عما يحدث ولا سيما أن ضربة الوبأ كانت إحدى المعاملات الإلهية في العهد القديم، لنرى أسباب ما نمر به والنتائج الإيجابية التي يجب أن يصل بنا الله إليها من خلال معاملاته:

أولاً: التذمر على الرب وخدامه

في سفر العدد ٢١: ٤-٦ ذكر الكتاب أن الشعب تكلم على الله وعلى موسى، فحتى إن تكلموا على موسى فقط، فموسى مرسل من الله، فالكلام سيكون على الله نفسه وكان تذمر الشعب وقتها بالقول :"لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز لنا ولا ماء وقد كرهت أنفسنا هذا الطعام السخيف. فأرسل الرب على الشعب الحيات المُحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل". ونحن في زمن لم يمر مثله في استخدام الشيطان الكثيرين في الكلام على خدام الرب والشكوى عليهم وتشوية صورتهم وهذه الحرب تشمل الجميع في وقت واحد، بداية من خادم أصغر قرية لأكبر الخدام المستخدمين في عصرنا وهذا ليضعف تأثيرهم وليشتت أذهانهم، ويهدف إلى أن يستهلك الطاقات بدلاً من توجيهها في الاتجاه الإيجابي، حيث البنيان، يوجهها للاتجاه السلبي، حيث الهدم. وبدلاً من أن يكون الإنسان لأخيه تشجيعًا وتعضيدًا "كل واحد يساعد

صاحبه ويقول لأخيه: تشدد" (إش٤١: ٦)، لإعانته في تتميم خدمته وخطة الله في حياته، أصبح الإنسان: ضد أخيه لإعاقته أيًا كان الإخلاص الذي يقودنا للتكلم عن ضعفات أو تقصيرات من يخدمون الرب، فهذا يؤول لنتائج سلبية وليست إيجابية. وفي أيام موسى والشعب لم يرفع الله الوبأ إلا بعد أن اعترفوا الشعب بهذه الخطية، معلنين أنها خطية وتابوا عنها.

ثانيًا: النفخة الكاذبة

جاء الوبأ أيام داود لأنه أحصى الشعب وكان سبب إحصائه للشعب الافتخار والكبرياء الداخلي وكان هذا بغواية من الشيطان (١أي٢١: ١)، لأن هذه هي روح الشيطان، فغضب الرب وأرسل لداود جاد الرائي ليخير داود بين ثلاثة أمور: "إما ثلاث سنوات جوع، أو ثلاثة أشهر أمام مضايقيك وسيف أعدائك يدركك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووبأ في الأرض" (١أي٢١: ١٢). فاختار داود الاختيار الثالث، معلنًا أن السقوط في يدي الرب أرحم من السقوط في يدي الإنسان، فيقول الكتاب: "فأرسل الله ملاكًا على أورشليم لإهلاكها، فسقط في أورشليم سبعون ألف"، وجيد أن نركز في القول: "فأرسل الرب!"، فإذا كنا نريد أن نرى الأمور بطريقة صحيحة، نأخذها من يدي الرب، عالمين أن وراءها صوتًا إلهيًا ومعاملات إلهية، حتى وإن كانت تأديبية، لكن اعتبار أن الأمر عارض أو وراءه مؤامرات لتحقيق مغانم اقتصادية من قبل بعض الدول، هذا يفوت علينا سماع صوت الرب الواضح لنا كأفراد وكجماعة، لكن قبل أن

نترك هذه النقطة: هل الكبرياء والشعور بالأفضلية انتابتنا سواء على مستوى المجال الروحي أو حتى العالمي؟ فالتفاخر والاعتزاز بالقوة والشعور بالأفضلية انتاب الجميع، لكن الله عرف كيف يكسر كبرياء الإنسان من خلال فيروس لا يُرى، فيتضع في عيني نفسه وعيني إلهه.

ثالثًا: التأديب

بقراءة سفر العدد الأصحاحات ١١ و١٤ و١٦ نجد أن هناك وبأ، وفي كل مرة كان الوبأ إحدى المعاملات الإلهية التأديبية التي استخدمها الرب في رجوع الشعب عن طرقه الردية، ففي أصحاح ١١: ٣٣ لسبب أنهم اشتهوا شهوة في البرية، أعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً في أنفسهم، فُدعي المكان "قبروت هتأوة" أي "قبر الشهوة"، وفي أصحاح ١٤: ٣٧ لأنهم أرسلوا جواسيس، غير مصدقين قول الرب، وفي أصحاح ١٦: ٤٦ تذمروا لسبب موت قورح ومن معه، فكان التأديب صورة من صور المحبة الإلهية لرجوع الشعب؛ لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ولن يرفع الرب التأديب إلا بالتوبة، وهذا ما نراه في صلاة سليمان في أخبار الأيام الثاني ص٧: ١٣-١٤ "إن أغلقت السماء ولم يكن مطر وإن أمرت الجراد أن ياكل الأرض وإن أرسلت وبأ على شعبي. فإذا تواضع شعبي الذين دُعي اسمي عليهم وصلوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبريء أرضهم".

رابعًا: العودة لعرش النعمة

تمر البلاد بظروف صعبة، حتى الكنائس وقد نتعرض لأخطار على المستوى القومي، ظروف تستوجب الصراخ والصلاة بلجاجة وما أقل تجاوبنا في الصلاة والتضرع! لكن عندما يكون الخطر قريبًا منا كأشخاص، نلجأ للرب في صلوات حقيقية بلجاجة لأجل الحفظ والسياج، وهذا على قدر ما أذكر حدث في الكتاب مع شخصيتين: مع **رفقة** الشخصية الجسورة، فأمام عقمها فلم تنكسر ولم تصلي، لكن زوجها إسحاق هو من صلى لأجلها ولكن عندما تزاحم الولدان في رحمها وشعرت أنها ستموت، مضت لتسأل الرب (تك٢٥: ٢٢)، وكذلك **حزقيا** في ضيقاته المتنوعة مرة حلها بالذهب حتى ولو كلفه الأمر أن يقشر ذهب الهيكل ومرة حلها بالاستعانة بمعونة البشر، حتى ولو كلفه الأمر دفع الثمن وحتى في المرة الصحيحة التي تصرف فيها لم يُصلِّ، بل طلب صلوات إشعياء عندما أرسل له وقت معايرة سنحاريب أن يصلى لأجلهم، لكن عندما أرسل له الرب رسالة قصيرة بيد إشعياء: "أوص بيتك لأنك موتًا تموت"، لم يقدر على حلها "بالفلوس" أو بمعونة إنسان، فهذا موقف لا يصلح فيه هذه وتلك ولم ينتظر صلوات آخر لأجله حتى ولو إشعياء النبي، بل وجّه وجهه نحو الحائط وبكى وصلى (إش٣٨ : ٢).

وهكذا نحن في موقف لا يصلح فيه إلا البكاء والصلاة والتضرع للرب.

خامسًا: التوبة والرجوع للرب

حصد الفيروس حتى كتابة هذه المقال خلال منتصف مارس حوالي أكثر من ٩٠٠٠ نسمة وهذا عدد مهول وفي إيطاليا وحدها الوفيات بلغت أكثر من ٤٠٠ فرد يوميًا، أليس من وراء هذا صوت الرب لنا كما قال الرب في لوقا ١٣: ٣: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"؟ إن موت ١٨ الذين سقط عليهم البرج في سلوام صوت للأحياء وفرصة للتوبة، فما بال لو هناك خطر يحصد الآلاف ولسنا نظن أننا بمنأى عن هذا الخطر! فالراحلون بهذا الوبأ ما كان أحد منهم يظن أن حياته ستنتهي بهذه السرعة، فهذا الفيروس يضرب الرئتين ويكون سببًا في الوفاة خلال فترة قصيرة، لكننا للأسف نصدق الرحيل للآخرين ونظن أننا عندنا وقت بكفاية، كما ظن أحدهم أن لنفسه سنين عديدة.

سادسًا: نحتاج لتطهير القلوب من الخطية

أكبر حملة يتم إطلاقها في الكثير من البلدان لتطهير البلاد ولتعقيم الأدوات لتحقيق أكبر قدر من الحماية من نقل الفيروس، لكن هناك وبأ الخطية والنجاسة والفساد والكراهية، وهذه وتلك لم يكن أحد يفكر في التطهير منها وهذه لا يمكن أن يطهرها إلا الرب وحده وعمله في القلوب.

سابعًا: الاستعداد لمجيء الرب

فالأوبئة والمجاعات أمور مرتبطة بمجيء الرب وظهوره للعالم كما

جاء الكلام في متى ٢٤: ٧. فواضح أننا في اللحظات الأخيرة التي تسبق مجيء الرب لاختطافنا، وكم المحتمل أننا الجيل الذي سيرى الرب عيانًا في السحب في لحظة مجيئه، ليتنا من القلب نصرخ:

"**آمين، تعال أيها الرب يسوع**".

١٦

قالوا إيه علينا دولا
وقالوا إيه؟!

انتشرت في الآونة الأخيرة (يونيو ٢٠١٨) أغنية للجيش المصري بصوت حقيقي لفرقة الصاعقة عنوانها: "قالوا إيه علينا دولا وقالوا إيه؟!"، وذكَّرني مضمونها وتوقيتها بمحتوى أغنية للجيش "تسلم الأيادي، تسلم يا جيش بلادي"، لكن الفارق بين الاثنتين أن الأولى حديث الشعب عن جيشه، والثانية حديث الجيش عن نفسه، وإن كنت لا أقلِّل من تضحيات جيشنا العظيم التي تصل في الغالب للموت – وهذا أقصى صورة للتضحية وهو التضحية بالنفس لأجل الآخرين– لكن لنا في فحواها بعض الدروس كمؤمنين وكخدَّام ونأخذها في صورة ٨ **لاءات:**

١- **لا للتباهي بالقوة:** فكلمة الله تقر أن الخلاص ليس بكثرة الجيش، بل للرب الخلاص «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر. هم جثوا وسقطوا، أما نحن فقمنا وانتصبنا» (مز ٢٠:٧ و٨)، فجيشنا الباسل رغم قوته التي يشهد عنها العالم، كم لاقى من مقاومات أمام الإرهابيين وقتل لأفراده بغدر، لهذا الكل يشهد أن الخلاص دائمًا يأتي من المعونة الإلهية وكم في كلمة الله من أمثلة صريحة تؤكد أن الرب من الممكن أن

يسند الضعفاء. وهكذا كم نحن عُرضة للثقة في إمكانياتنا أكثر من قدرة الرب المُخلِّصة.

٢- **لا للاهتمام بما يقوله الناس عنا:** مع أن البشر آراؤهم متقلبة، يومًا يرفعوننا على الأعناق ومرة أخرى تحت الأقدام، ولعل ما حدث لبولس بعد خروجه من السفينة يخبر عن ذلك (أع ٢٧: ٣-٦)، ففي ذات المشهد قالوا عنه شريرًا لم يدعه العدل ينجو من الموت، مع أنه نجا من السفينة، لهذا نشبت في يده أفعى وعندما نفض بولس الأفعى قالوا عنه إنه إله. لكننا للأسف كم من المرات نبحث عن رأي الآخرين ونكون أسرى لرأيهم، فآراء الناس مزاجية متغيرة يحكمها الكثير من الأمور، فالأهم هو رضى السيِّد عمَّا تفعله وهذا ما عمله وعلمه بولس: «... لو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح» (غلا ١: ١٠).

٣- **لا للوقوع في فخ الإنجازات:** من أصعب الأمور أن الشخص يجلس حبيس الماضي مجترًا على بطولات الماضي، مع أن بولس بوعي قال: «إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في ٣: ١٤) وهذا من الناحية الروحية نوع من الإفلاس، ففي أحد الأيام راح عُوبَديًّا يعدِّد قدام إيليا إنجازات الماضي: «أ لم يُخبَر سيِّدي بما فعلت حين قتلت إيزابل أنبياء الرب، إذ خبأت من أنبياء الرب مئة رجل، خمسين خمسين رجلاً في مغارة وعُلتهم بخبز وماء؟» (١مل ١٨: ١٣)، قال هذا لإخفاء إفلاسه ووضعه الخاطئ

بوجوده في بيت أخآب! فيوم أن نردّد إنجازات الماضي، بالتأكيد هذا ليس له تأثير في الحاضر، فما قيمة انتصارات الماضي وأنا أحيا اليوم في هزيمة؟!.

٤- **لا لاستجداء مديح الناس:** في بعض الأحيان نُحاط ببعض البخلاء حتى في الكلمة الحلوة هم مثل الليمون الأخضر الذي لا يعصر عصيرًا، فنقوم باستجداء مدحهم، البعض يقوم بذم نفسه لأجل أن يقوم السامع بنفي ما يقوله من ذم، ويشكر فيه كأن يقول: "إني مليش في الوعظ مثلاً" أو "مكنتش مركز اليوم وكنت تعبان لم أسمع!!"، هذا هو المدح. وأعتقد أن هذا نوع رخيص لاستجداء مدح الناس وربما نفاقهم، علينا أن نجتهد لنكون مرضين عند الرب وحده هنا في حياتنا وطرقنا ولنسمح المدح من أمام كرسيه "نعمًا أيها العبد الصالح والأمين".

٥- **لا لضرب آراء الناس بعرض الحائط:** شرط ألا يكون هذا الطابع العام، بل الاستثناء، لأن روح العُجب هي أن الإنسان يصل لمرحلة عالية يشعر فيها بالزهو بنفسه لدرجة العبادة طيلة الوقت ويجاهد بكافة السبل جعل الآخرين يشاركونه عبادته في نفسه، لكن كوني في بعض الأحيان أسأل عن رأي الناس في أسلوبي أو عملي، فهذا لا غبار عليه، فالرب يسوع نفسه مرة سأل تلاميذه: «مَنْ يقول الناس إني أنا؟» (مر ٨: ٢٧) وبعد أن سمع منهم قال لهم: «وأنتم، مَنْ تقولون إني أنا؟»، وسمع إجابتهم وصحَّح قناعاتهم الخاطئة، فمعرفة رأي المقرَّبين لنا والناضجين فينا ليس خطأ، بل بالعكس من

المحبَّذ طلب مشورتهم ونقدهم البنَّاء، أما طلب إرضاء جميع الناس مدمِّر، وكَوْن يمتدحنا جميع الناس ليس هذا مؤشرًا إيجابيًا، بل سلبيًا، لهذا قال الرب: «ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنًا» (لو ٦: ٢٦).

٦- **لا لمدح أنفسنا:** الكتاب يقول: «ليمدحك الغريب لا فمك، الأجنبي لا شفتاك» (أم ٢٧:٢)، ويقول أيضًا: «وطلب الناس مجد أنفسهم ثقيلٌ» (أم ٢٥:٢٧). فمن الأفضل أن يمتدحنا الآخرون لا أن نمتدح أنفسنا، هذا يذكرنا بما قاله ياهو ليهوناداب وهو يمحو بيت أخآب: «هلمَّ معي وانظر غيْرتي للرب» (٢مل ١٠: ١٦) وكأنه يقول: إنه الوحيد الغيور، فكم من المرات نشعر بأهمية دورنا! مكتوب «لأنه ليس مَنْ مدح نفسه هو المزكَّي، بل مَنْ يمدحه الرب» (٢كو١٠: ١٨).

٧- **لا تكن أسير ما يسجله التاريخ عنك:** ذكر بولس صراحة لا يهمه رأي الناس أو حتى رأيه عن نفسه وحتى ما يكتبه عنه التاريخ «يوم بشر»؛ وكلنا نعلم كم ظلم التاريخ البعض بالخطأ! وكم أنصف التاريخ البعض أيضًا بالخطأ! فيقول: «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيَّ منكم، أو من **يوم بشر**. بل لست أحكم في نفسي أيضًا» (١كو ٤: ٣).

٨- **لا للبحث عن المكافأة الأرضية:** قال الرب عن مَن يحبون أن يظهروا أعمالهم للناس: «إنهم قد استوفوا أجرهم» (مت٦:١٦).

لكن المكافآت أمام كرسي المسيح ستكون أعظم، حيث نسمع كلمات المدح والنعمًا، حيث المسيح لن ينسى شيئًا وسيكون المدح أمام كل المؤمنين عبر العصور.

أخيرًا أتركك مع هذا السؤال:

ما الذي يهمك، رأي الناس أم رأي الرب؟

فحتى ولو قالوا فينا أشعارًا، قالت حواء عن قايين: «اقتنيت رجلاً من عند الرب» (تك٤:١)، وكان رأي الرب عنه إن أعماله شريرة (١يو٣: ١٢)، لهذا دعونا لا ننحني أمام كلمات ذم الآخرين، ففي بعض الأحيان تكون كلماتهم مملوء بالحسد والغيْرة ودعونا لا نبتهج أمام مدح الآخرين، فكلماتهم أحيانًا تكون مصحوبة بالنفاق.

فكما قال أحدهم: "إن اللاعب الماهر لا يلتفت لهتافات الجماهير قدر التفاته لصافرة الحكم".

فدعك عزيزي عمَّا يقال عنك، فالبعض بحساسية مفرطة يعطي إصغاء أحرى لآراء الناس وهناك مَن ينقلون له ما يقوله الناس عنه، لكن الحياة أقصر من أن نضيعها في هذا الاتجاه، فليتنا نقضي الوقت في الإكثار في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبنا ليس باطلاً.

١٧

الرهبان هم أيضًا بشر!

لسبب المشاعر المجروحة لغالبية المسيحيين، ترددت كثيرًا أن أكتب عن حادثة مقتل رئيس دير الأنبا مقار عن طريق ضربة بآلة حادة وقد تبرهن من الوهلة الأولى أن الحادث جنائي والجاني من الداخل، لأنه لو كان الحادث إرهابيًا، لكانت الوسيلة المستخدمة هي الرصاص أو التفجيرات، كما تعاهدنا من الإرهابيين وليس باستخدام وسائل بدائية وفي منطقة محظور دخولها من غير الرهبان، لكن شرعتُ أن أكتب لأن هذا الحدث أخذ بعدًا إعلاميًا غير مسبوق، ربما لسبب الصدمة! لأن التحقيقات أظهرت أن الجاني هو أحد الرهبان بمساعدة صديقه، والصدمة أيضًا لأننا دائمًا نضع الرهبان والقساوسة والخدَّام في مصاف القدِّيسين والأفاضل الذين في الأرض وننسى أنهم بشر، فحتى بولس نفسه، أقرّ بالخطية الساكنة فيه (رو ٧: ١٧). فالمؤمن لو تُرك لذاته، لفعل شرورًا لا يفعلها شخص بعيد عن الرب.

وما قصدتُه من وراء هذا المقال هو أن نتنبه للعديد من التحذيرات في هذه الحادثة:

١- **الأجواء الروحية لا تصنع من الشِّرير قدِّيسًا:** إن الأماكن

والملابس والمظاهر المعيَّنة لا تخلق منا أشخاصًا أتقياء، لكن فقط العلاقة الصحيحة مع الله، فلعلنا لا ننسى جيحزي وكيف أن رفقته مع أليشع رجل الله لم تؤثر فيه، فلقد رأى معجزات أليشع وحياته عن قُرب وسمع كلامه، لكن مع كل ذلك تملكت محبة المال على قلبه (٢مل٥: ٢٠)، ولعلنا لا ننسى أولاد عالي الكاهن وكيف أنهم في وسط أجواء الخدمة كانوا يفعلون أبشع الشرور (١صم٢: ٢٢). كذلك عِشرة يهوذا الإسخريوطي مع المسيح وتلاميذه لمدة تزيد عن ثلاث سنوات لم تغيِّر قلبه الشِّرير الفاسد! فهل من كل ذلك عبرة للقارئ؟

والعكس نجده في كلمة الله أيضًا فهذا يوسف يعيش في جو شرير وبيت فاسد وثني لكنه يرفض الخطية بإصرار، وكذلك دانيآل عاش في بابل الوثنية كأسير لكنه تمسك بالله بكل أمانة وهكذا نرى أن العلاقة مع الله هي أمر شخصي فردي وليس جماعي.

٢- **الصَديق الذي لم يحدِّد وجه صاحبه:** إن كنا لا نجد عذرًا للقاتل، لكننا نلوم أيضًا صديقه الذي راقب المشهد أثناء تنفيذ الجريمة، فمن المؤكد أنه كانت بينهما حوارات قبل يوم الحادث، فكان الأحرى بالصديق أن يقوِّم صاحبه ويثنيه عن فعلته، فإن كان الجاني قد ملكه الشيطان وهو «القتّال للناس منذ البدء» وقد أعمى ذهنه، فلم يرَ النتائج الوخيمة لفعلته، فكنا نتوقع من صديقه أن يُنير ذهنه ويصحِّح أفكاره ويردُّه إلى صوابه، إذ «الحديد بالحديد يحدَّد، والإنسان يحدِّد وجه صاحبة» (أم ٢٧: ١٧)، وأيضًا «أمينةٌ هي جروح

المُحب، وغاشَّة هي قبلات العدو» (أم ٢٧: ٦) من الخطأ الشنيع أن ننقاد إلى الآخرين في أخطائهم بدون وعي لئلا نخسر صداقتهم وتكون النتيجة أننا نحصد ثمارًا مريرة.

٣- **تجاهل "الحوَّاشات" الإلهية:** ربما لم يدر بذهن الرهبان الذين وقّعوا على التماس عودة الراهب الجاني للدير في فبراير ٢٠١٨ بعد قرار استبعاده إلى دير مجاور، أنه سيكون عُرضة لتجربة وخطية مُحيطة به بسهولة وسّهلها له العدو. لعلنا نستشعر ندم الموقعين على التماس العفو وربما يقولون: "يا ليته غادر الدير، لكان أرحم له ولنا بدلاً من الإساءة التي حدثت للاسم الحسن الذي دعي علينا" (يع٢: ٧)، في واقعة لن يمحوها التاريخ! ولعل هذا الموقف ذكّرني ببطرس في حادثة الإنكار، فعندما حاول الدخول، منعته البوّابة، ولكن يوحنا الحبيب لأنه كان معروفًا عند رئيس الكهنة (يو١٨: ١٥)، خرج ليتوسَّط ليدخله وليته ما توسَّط! فبدخول بطرس، دخل مشهد التجربة، إذ أنكر ثلاث مرات أمام الجواري. ليتنا نصبح أكثر حساسية لمعاملات الرب ولا سيما المعطلات التي يضعها الرب في طريق إرادتنا الجامحة، التي ربما تكون أشواكًا يضعها أمامنا، لكي لا نعبر طريق الضلال (هو٢: ٦).

٤- **عدم الخضوع:** كما قيل إن الجاني لم يخضع لنظام الدير ولم يكن له عمل، مع أنه شاب في الثلاثينات وعنده قدرة على العمل، للدرجة أن رئيسه اشتكى للبابا، طبقًا للمذكرة المنشورة على المواقع الإلكترونية. لقد نسي وتناسى الجاني كلمة الرب التي تدعو

للخضوع لكل ترتيب بشري لأجل الرب (١بط٢: ١٣)، والتي تدعو للخضوع أيضًا بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط، بل للعُنفاء أيضًا (١بط٢: ١٨).

٥- **عدم قبول الرأي الآخر**: حلَّل البعض أن ما حدث وراءه اختلاف فكري، لكن هل اختلافي مع فكر الآخر يؤول لعدم قبوله والتخلص منه؟! وماذا عن المكتوب: «اقبلوا بعضكم بعضًا كما أن المسيح أيضًا قبلنا لمجد الله» (رو ١٥: ٧)؟ فالمحبة تجعلنا نحتمل أضعاف الضعفاء وهي التعبير الطبيعي لجريان الطبيعة الجديدة وعكسها ليس هو الصحيح.

أحبائي ... نحن لسنا بمنأى عن هذا، فحتى في أقدس الأجواء، كم من حالات القتل المعنوي والتشهير وقتل السمعة وقتل المواهب لسبب الحسد والغيرة ونقصان المحبة! فقد نقتل الآخرين بالبغضة، فالكتاب يقول: «مَن يبغض أخاه فهو قاتلُ نفس» (١يو ٣: ١٥) وهناك قتل بالكلام «هلمَّ فنضربه باللسان» (إر ١٨: ١٨) وقتل بالهذار «يوجد مَن يهذر مثل طعن السيف» (أم ١٢: ١٨) ... إلخ. فهل نتحذر من ذلك؟!

٦- **محبة المال وخطورتها**: شهد القريبون من الجاني أنه كانت له تعاملات مادية ومطامع كثيرة، اجتهد المجني عليه أن يثنيه عنها، لكن دون جدوى! فلقد أعمَت محبة المال عينيه، ولم ينتبه لتحذير الوحي: «لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١تي٦: ١٠).

٧- **عار الشعوب الخطية:** قال أحدهم: "إن شجرة واحدة تعمل مليون عود كبريت وعود كبريت واحد يحرق مليون شجرة". إن موقفًا واحدًا رديئًا قد يهدم تاريخ شخص، وإن كان الرب لا يغلق باب التوبة والقبول حتى أمام القتلة. فموسى قتل المصري وداود كان السبب في مقتل أُوريَّا الحثِّي بسيف بني عمُّون وشاول قتل مؤمني الكنيسة الأولى، والنعمة قبلتهم جميعًا، ولديها استعداد أن تخلِّص جميع الناس إن تابوا.

فلا توجد خطية واحدة تستعصى على غفران الله ومحبته، طالما يرجع الشخص تائبًا نادمًا معترفًا. ولنا القول الإلهي: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل اثم» (١يو١: ٩).

وفي هذا الحدث كم نشكر الرب أنه لم تنجح محاولة الانتحار للجاني الثاني ليكون له فرصة للتوبة والرجوع للرب لتقبله النعمة، ليكسب حياته الأبدية، حتى وإن خسر حياته الجسدية في الزمان.

ليتنا بعد قراءة هذا الحدث في ضوء كلمة الله، نأخذ هذه الدروس التحذيرية لأنفسنا وإن كانت تكلَّمت عنها كلمة الله ومعروفة للكثيرين، لكن فيها إنهاض للتذكرة ونحن في خضم الحدث، لنأخذ الحذر لأنفسنا، فليس أحد كبيرًا على الخطأ، فإن تخلت عنا النعمة الإلهية، لسقطنا وكان سقوطنا عظيمًا.

***

١٨

العوار الذي كشفه قاتل القس مقار

أزعجني خبر مقتل القس مقار صباح يوم الاثنين ١٣ مايو قتلاً بالرصاص على يد حارس الكنيسة بشبرا الخيمة وهو مسيحي يدعى كمال، في حادثة هي الأولى من نوعها، وبحسب الأخبار المتداولة أن القس وعد الحارس بمعاونته في زواج ابنته وتخلَّى عن وعده، وكَوْن الأمر يصل للقتل لمجرد عدم الإيفاء بالوعد – مهما كان هذا الوعد – فأعتقد أنها حقيقة ينقصها الكثير حتى تكتمل. أما إذا كانت هذه هي الحقيقة، كما تداولها الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، فأعتقد أن ضلوع التخلف العقلي في القضية هو الجزء الأكثر أهمية لكي تكتمل حيثيات تلك الجريمة.

وكم كشف لنا الحادث عن عَوَار نتعلَّم منه بعض التحذيرات:

١ – **«اغضبوا ولا تخطئوا»:** فهناك تصرفات وكلمات تصدر وقت الغضب لا يكفي المستقبل كله للتعويض عنها. كم نحتاج إلى ضبط النفس والمشاعر وردود الأفعال، فالغضب ليس مبررًا للسلوك المُتقلب بأي سبب.

٢- **لا نعلق الآمال على البشر، بل ننتظر الرب:** فإذا أغلق البشر بابًا، فتح الرب أبوابًا، ويستطيع أن يعطي النجاة من باب آخر.

٣- **بحسب الأخبار المتداولة أن الحارس القاتل لديه تسع بنات:** وهذا عدد كبير ليس فقط بالمقارنة بظروفه المادية ولا حتى لأنهن بنات، وربما كان يريد إنجاب الولد، بل حتى من جهة تأثير عدد مرات الإنجاب على صحة الأُم والطاقة في التربية، وهذا يكشف لنا عن موروثات تعلَّمها البعض من الأجداد وتنعكس على حياتهم وقراراتهم حتى ولو انتقلوا من الريف للحضر ولو أخذ بعضهم الشهادات العلمية، فالمنطق يقول إنه مع كل إنجاب طفل، تزداد مشاكل الأسرة تعقيدًا خاصة في ظل ظروف أُسرة مطحونة كهذه. ودعونا نفكر حتى لو الطفل التاسع أو العاشر جاء ولدًا، مَن الذي يضمن أن هذا الولد سيكون سندًا للأسرة أو حتى لنفسه كما الحال في الأجيال السالفة؟ فمَن يقرأ الحياة المعاصرة سيستنتج أن البنت نظير الولد، بل أخذت أدوارًا واجتهدت أفضل من الولد وفي أحيان كثيرة تكون أوفى من الولد على الوالدين، إن كثرة الإنجاب ليس له مبرر منطقي ولا ديني بأي شكل بل يتردد إلى خراب وفشل أُسري من جميع الجوانب.

٤- **«آكل خبزي، رفع عليَّ عقبه!»:** الصدمة في المجتمع المسيحي والمصري المتابع لهذه القضية التي أخذت بعدًا إعلاميًا أن الجاني تمتع برعاية الكنيسة وبرعاية المجني عليه شخصيًا له، ليس فقط من خلال عمله بالكنيسة وما يدره له من دخل، لكن من خلال

وقفات حيَّة معه في زيجات بناته. لكن أ ليس التاريخ يُعيد نفسه معنا كأفراد وككنائس بظهور من وقت لآخر «يهوذا»؟ وينطبق عليه ما فعله يهوذا مع الرب من خيانة العشرة وخيانة العيش والملح؟

٥- كخدَّام يجب ألا نأخذ مكان الله في حل مشاكل الناس: فأحيانًا وعودنا للمحتاجين تكون أكبر من إمكانياتنا، فنضيع عليهم فرصة التدريب قدام الرب ونسبِّب لهم عثرة منا، لأنهم – عادةً – يظنون فينا كل القدرة لسداد إعوازهم. لقد أخطأ ألقانة عندما قال لحنَّة زوجته العاقر: «أَمَا أنا خير لك من عشرة بنين؟» ولم يدرك أن حل مشكلتها ليس فيه كإنسان، إنما في علاقتها مع الرب.

٦- الموقف يرينا أن الكنيسة في رعايتها بالغت في تسديد الجانب المادي والخدمي، ربما على حساب الجانب الروحي: فانشغال الخدام بالخدمات المالية والتعضيد للفقراء والمحتاجين بمختلف احتياجاتهم – وإن كان هذا حسنًا وجزءًا من الخدمة – لكن لا يجب أن يكون على حساب الخدمة الروحية، وأعتقد أن الكنيسة الأولى قد فعلت حسنًا عندما انتخبت سبعة شمامسة منهم استفانوس لهذه الخدمة لكي يُعطَى للرسل تركيزًا في الصلاة وخدمة كلمة الله والنفوس قائلين: «لا نرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد» (أع ٦: ٢) لأن الحقيقة أن الخدمات التدبيرية والمالية والإدارية يلزم لها أشخاص متخصصين أتقياء أيضًا، لكنهم مختلفين عن الخدام الروحيين أو خدام الكلمة الذين يكرِّسون كل وقتهم للعمل الروحي فقط وهذا التمييز يوسع نطاق الخدمة ويعطي الفرصة لأكبر عدد من

المشاركة كل واحد بحسب إمكانياته ومواهبه التي منحه الله إياها، وهذه الملاحظة الأخيرة تخص الكنائس بمختلف اتجاهاتها ولا نخص بهذا كنيسة بعينها.

٧- **بسبب الاضطهادات المتكررة على المسيحيين كأقلية، وعدم قيام الدولة بالدور الواجب لحمايتهم كما يجب أو تلبية حقوقهم، التجأ بعض المسيحيين للكنيسة:** فقامت هي ببعض أدوار المجتمع في الرعاية الصحية والخدمية، فأقامت المستشفيات والمدارس ومكاتب التوظيف وهذا جعل البعض يلجأ للكنيسة فقط لأجل تسديد الإعواز، وإن كان البعض يقول إن الأمور لن تسير للوراء ولن توقف الكنيسة عما تفعله، خاصة أمام الضغوط الكثيرة والظروف الطاحنة للبعض في هذه الأزمنة الصعبة، لكني أمام هذا الحادث المزعج نُطلق صرخة عن ضرورة تولي مَن هم أصحاب كفاءات في إدارة الأمور المادية والإدارية، فإدارة الأموال تحتاج لحكمة ووزنة خاصة قد لا تتوافر في خادم كلمة، وقراءة الاحتياجات الحقيقية وليست المزيفة قد لا يستطيع قراءتها وتمييزها خادم روحي مملوء بالعواطف الجياشة التي قد تغلب على التمييز المطلوب في مثل هذه المواقف، فالكتاب يقول: «ارحموا البعض مميزين» (يه ٢٢).

الحادث مزعج، ولكن نأخذ منه دروسًا وعبرًا تحذيرية قصدت أن أشارك بها، ربما يكون من وراء المشاركة إفادة.

١٩

أحداث تتكلم

عادة يكون هناك حدث بارز يأخذ الحوارات والرأي العام تجاهه، لكن أن يحدث في شهر واحد ثلاثة ألا وهي: رحيل الرئيس الأسبق مبارك– تفشي وبأ كورونا– الأمطار والسيول، أحداث كل منها يستحق لا مقالاً، بل كتابًا، فهي جديرة بالتوقف والتأمل، لكن لضيق المساحة نأخذ دروسًا قليلة من كل حدث من الأحداث الثلاثة:

الحدث الأول: رحيل الرئيس الأسبق حسنى مبارك

الدرس الأول المستفاد: "دخلنا العالم بلا شيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء". وقدام مشهد رحيله نرى حقيقة الإنسان. فإن كانت ثورة يناير أحد أسباب قيامها ثروة الرئيس الأسبق التي قدرها البعض بالمليارات، وأمام مشهد حمله في أقصى مشهد تكريم عسكري وهو جنازة عسكرية، هل أخذ معه شيئًا؟ حقًا صدق الكتاب في القول: "عند موته كله لا يأخذ لا ينزل وراءه مجده" (مزمور ٤٩: ١٧).

الدرس الثاني: من موقف آخر تناولته القنوات الإعلامية وهو مشهد بكاء لاعب مشهور ومعتزل في قاعة عزاء مبارك وفي المشهد يظهر آل مبارك وهم يهدئون من بكائه "ويطبطبون عليه". في مشهد الكل شهد بأنه زيادة، لكن ماذا عن دموع التماسيح؟ فهناك الكثير

من المواقف ليس لها رصيد في القلوب، يتبرهن عدم صدقها للداني والعالي. ليتنا نكون كما قال الكتاب: "صادقين في المحبة" (أفسس٤: ١٥) والمحبة فلتكن بلا رياء (٢كو٦: ٦).

الدرس الثالث: إننا في يوم البشر (١كو٤: ٣). أي ما يكتبه التاريخ، فتاريخ البشر يقول إن مبارك كان من حوله الكثير من المنتفعين والمنافقين أيام حكمه، ثم انقلب عليه المجتمع يوم تنحيه وجلس ينتظر حكم التاريخ، كما قال: "سيكتب التاريخ عن ما لنا وما علينا" وبحسب رأي الكثيرين: ظلم وبحسب الرأي الآخر يستحق جزاءه، لكن بعد موته الكل تكلم عنه إيجابيًا! هذا هو رأي الإنسان ورأي البشر عمومًا، لكن الرأي السديد والأمين سيأخذه كل شخص عندما يقف قدام الله للمحاسبة.

الحدث الثاني: انتشار وتفشي فيروس كورونا

الدرس الأول المستفاد: "فإني أنا الرب شافيك" تبرهن ضآلة الإنسان وهشاشيته أمام فيروس لا يمكن رؤيته. فالفيروس أصاب رئيس وزراء ووزيرة صحة بإحدى البلدان وأصاب مشاهير وممثلين ولاعبين، فلم يقف أمامه صغير أو كبير ولأن الفيروس أصاب الكثيرين في شتى بقاع الأرض، فتم تسميته وبأ عالمي.

لكن في المقابل رغم التحذيرات من التجمعات وإلغاء الكثير من المؤتمرات، لكن حرص الكثيرون على التواجد في العبادة، معلنين تمسكهم بإيمانهم بإله هو صاحب المواعيد التي تضمن الحماية

لأولاده منه، تقول كلمات مزمور ٩١ في بدايته: "الساكن في ستر العلى في ظل القدير يبيت" وفي عدد ٥ و٦ نقرأ القول: "لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار. ولا من وبأ يسلك في الدجي، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة" وفي حبقوق ٣: ٥

"قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى".

إن كنا لا نقلل من الاحتياطات الواجبة والتي تم التوصية بها من قبل وزارة الصحة، فالمؤمن لا يجرب الرب إلهه ويعرض نفسه لخطر لا داعي له بحجة أن الرب يحامي، لكن طالما أن الإجراءات الاحترازية يتم العمل بها، فعندئذ لنا الوعد الكريم أنه لا تسقط شعرة من رؤوسنا، إلا بإذنه وأن عمر الإنسان لن ينقصه سبب خارج عن مشيئة الله ولن يرحل خادم للرب إلا بعد أن يكمل خدمته.

الدرس الثاني: هو استهزاء البشر أمام خطر حقيقي: ففي الوقت الذي استقبل فيه العالم خبر انتشار الفيروس بهلع والبعض استقبل الخبر باحتياطات احترازية، قد يظنها البعض مبالغ فيها، لكن الشعب المصري كعادته وما يُعرف عنه خفة الدم الزائدة استقبل الأمر بالاستظراف والنكات على مواقف التواصل الاجتماعي! لكن الأمر كما قال عنه مسؤولون كبار بأكبر الدول إنه ليس هزارًا بل كارثيًا؛ لكن رد الفعل في بلادنا يرينا استخفاف الإنسان بالخطر، وهذا يذكرنا باستخفاف البشر بما هو أخطر، بالمصير الأبدي والدينونة القادمة وكأن استخفافه واستهزاءه سيبعد الخطر أو يلاشيه! لكن كما يقول

الكتاب في ٢بط٣ للقوم الذين يستهزئون بمجيء الرب. إن الله لا يكذب ولا يهوش بالعقاب كما نفعل نحن أحيانًا مع أولادنا، لكنه عندما قال إن هناك دينونة بالطوفان، جاء الطوفان وأغرق الجميع، وعندما قال هناك نار وكبريت ستنزل على سدوم وعمورة، فعل هذا ورمد مدينتي سدوم وعمورة، وهكذا سيحدث أيضًا بخصوص الدينونة الآتية على العالم. فعندما ذكر العهد الجديد عن جهنم النار حوالي ١١ مرة كان منهم ٩ مرات بفم الرب نفسه.

"فليكن الله صادقًا وكل إنسان كاذبًا"

الحدث الثالث: نوة الأعاصير والأمطار

الدرس الأول: التجاوب مع جرس الإنذار: كم نشكر الرب لأجل التقدم العلمي الهائل وإمكانية التنبؤ بهذه النوة مبكرًا للدرجة التي تم منح الإجازات للموظفين وللطلبة في المدارس لتقليل حجم الخطر على الناس ولولا هذا القرار لكانت النتائج كارثية. فتلك النوة التي لم يأت مثلها على البلاد كما يقولون منذ عام ٩٤، وكم كان المسؤولون في البلاد بل وعامة الشعب محقين في الاحتراز من خطر قادم وقد حدث فعلاً مع أن الأيام التي حذرونا فيها والتي سبقت النوة كانت فيها الشمس صافية والطقس جيدًا، لكن الكل أخذ التحذير بمحمل الجد لتجنب الخطر. ليتنا نفعل هذا أمام تحذيرات جرس الأبدية، فنؤمن أنفسنا بالدخول للفلك الحقيقي لا للنجاة من مياه غزيرة، بل من دينونة نار آتية على الرافضين.

الدرس الثاني: "مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" تعلمت من خلالها درسًا ربما عكس توقعات البعض، ألا وهو الاستفادة من الوقت. فأكبر شكوى كنت أشارك بها المقربين مني في الشهور الماضية أن المطلوب منى أكبر من الوقت المُتاح. فالوقت ينفق بين عمل وخدمة والتزامات أسرية. فقلبي كان يوجعني لأجل أشياء مثقل بها من كتابات وخلافه ولا أجد لها الوقت الكافي.

فإن كنا نصلى لأجل المتضررين من سوء الأحوال الجوية، لكننا نشكر الرب أيضًا لأجل السكون والهدوء قدامه من ارتباكات الحياة. قريبًا سيأتي الرب ويخلصنا من البرية دفعة واحدة ولا يكون لنا سوى التمتع بالحبيب.

٢٠

ناقوس الخطر
بمحطة قطار رمسيس

لقد قابل الكل يوم الأربعاء ٢٧ فبراير ٢٠١٩ بفزع، لسبب حادث تصادم وانفجار قطار بمحطة رمسيس واحتراق وتفحم الكثيرين، مع إصابة عدد ليس بقليل بحروق تختلف نسبتها من حيث الدرجة، وتعلمتُ من هذا الحدث أربعة دروس:

١- باطلة هي الملاجئ الأرضية:

في سفر عاموس ٥: ١٩ يقول: «كما إذا هرب إنسانٌ من أمام الأسد فصادفه الدب، أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحيَّة!».

طوال سفري لأجل الخدمة وأنا أطمئن للسفر بالقطار وليس بالميكروباص أو الأتوبيس، ذلك لأنه أكثر أمانًا بحسب ظني. وعادة أنصح بذلك أي شخص يهمني في سفره، ولأنني دائمًا أحجز ثانية مكيفة في سفري للمنيا أو أسيوط، فيكون الانتظار على رصيف ٨ والحجز بالعربة ٦ ويكون مكان انتظاري بجوار السلم، في المكان الذي انفجر فيه القطار، بالطبع لو كان عندي سفر وقت

الحادث وفي ذات توقيت الحادث، لكنت الآن مع المسيح! لكن يبدو أن لي بقية في الحياة!

فالخلاصة .. حذاري من أنك تضع أمانك في شخص أو مكان أو ظروف! فقد تهرب من خطر إلى مكان تظن أن فيه الأمان لتجد أن الخطر موجود أيضًا في مكان الأمان. فكم من أشخاص لجأنا إليهم ظانين فيهم الأمان ووجدناهم مصدر مضاعف للخطر، فالأمان الحقيقي هو في القرب من الرب الذي يحفظ من الخطر أو قد يسمح به وفي كل الأحوال تختبر معية الرب وهذا ينطبق على حياتنا الحاضرة حيث نقول على داود «الرب حصن حياتي مِمَّن ارتعب؟» (مز ٢٧) وينطبق أيضًا على مستقبلنا الأبدي حيث نجد الضمان والأمان من الدينونة في المسيح أيضًا «إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو٨: ١) .

٢- **أنقذ الممدودين للقتل:** «أنقذ المنقادين إلى الموت، والممدودين للقتل. لا تمتنع» (أم ٢٤: ١١).

لفت نظر المتابعين للحدث، قيام شخص بإنقاذ الكثيرين، وبحسب الإحصائيات عشرة أفراد، وما أثَّر فيه هو منظر النار المشتعلة في أجساد وملابس السيدات والرجال، فاستخدم ما هو متاح له من مياه أو بطانيات في إنقاذ البعض، وكم كانت فرحته بإنقاذ البعض من الذين كان من الممكن أن يكونوا في عداد الموتَى! وكم هو أهم إنقاذ المنقادين إلى اللهيب الأبدي ودينونة النار، كما كتب يهوذا بالوحي: «مُختطفين من النار» (يه ٢٣)، وكم تكون فرحة السماء والملائكة

بخاطئ واحد يتوب، وكم تكون فرحة رابحي النفوس بربحهم للحياة الأبدية. هذه الفرحة ستستمر حتى إلى كرسي المسيح، حيث سيكون من نصيب رابحي النفوس إكليل الفرح والافتخار (١تس٢: ١٩)!! أنها مسؤولية على كل مؤمن أن يبحث عن الهالكين والمنحدرين في طريق الهلاك ليمد يد المعونة والإنقاذ إليهم.

٣- كخطوة بيني وبين الموت (١صم٢٠: ٣):

تتعدد الروايات والمصير واحد وهو الموت. كان كل واحد ذاهبًا لمشواره وقدامه هدف. منهم مَن أتى من أقصى الجنوب من أسوان، ومنهم مَن كان مسافرًا إلى جهة ما، ولم يكن أحد منهم يتصور أن الموت قريب منه بهذه الصورة، ولم يكن يظن أحد أنها آخر رحلة في رحلات الحياة، وكان الموت هو الفرامل الشديد لكل طموحات وبريق الحياة.

والدرس الذي لنا ... إن الموت قريب منا، كما قال داود: «كخطوة بيني وبين الموت»، فإن كان يُقال إن الموت له سبب، بل قد يأتي بدون سبب. فكما قال أحدهم: "إن احتمال موت أي إنسان هو ١٠٠%". فليتنا نستعد لِمَا بعد الموت في الحياة التي لن يزورها الموت «والموت لا يكون في ما بعد». ليتنا نعيش كل يوم حياة الاستعداد للرحيل، فقد نبدأ يومًا ولا ننهيه، وقد نذهب إلى مشوار ولا نرجع لبيوتنا مرة أخرى. فمن العبث الظن أننا سنبقى على مسرح الحياة وصراعاتها إلى الأبد. ألا نذكر ذاك الغني الذي له طموحات واسعة لا تنتهي (لو١٢: ١٦-٢٠) ولم يعلم ان حياته

ستنتهي في اللحظة التي كان يرسم منها خطط المُستقبل الزاهر؟!

٤- الأخطاء المؤثرة:

من العبث الظن أن خطأ إنسان يحصده ذلك الإنسان فقط دون أن يمتد تأثيره على الآخرين، هذا ما رأيناه في سائق الجرار المستهتر، وعندما عملت إحدى القنوات الفضائية حوارًا معه كان مبتسمًا، مظهرًا لا مبالاة بطريقة غير عادية، لكن الخطأ الذي وقع فيه بإمهاله في عمله سيكون له مردود صعب عليه في أحكام قد تصل كمطلب جماهيري للإعدام، إن خطأه كانت نتيجته أن مات وأصيب الكثيرون وتألمت أُسر كثيرة بل وكل شعب مصر، فقد يخطئ أب والنتيجة أن أُسرته كلها تتأثر بهذا وليس هو فقط، وقد نُخطئ نحن ويتأثر سلبيًا بهذا الخطأ الآخرون.

هذه الدروس صوتها عال، كما كان للحوادث السابقة، ومَنْ له أذنان للسمع فليسمع، فليتنا نأخذ العبرة لأنفسنا، فمَنْ ماتوا ذهبوا لمصيرهم، وبقي الدرس للأحياء، فكما قال الرب في مواقف مشابهة بلغة التحذير: «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون» (لو١٣: ٥).

ليتنا نستفيق قبل فوات الأوان.

***

٢١

الذهن والعبادة

أي سلوك بشري يتم فيلاث مراحل مرتبطة معًا: في الإدراك (الذهن)، والوجدان (المشاعر)، والنزوع (الإرادة)، وهذا ما نراه واضحًا في حواء (تك٣)، حيث بدأ الأمر بفكرة كاذبة من الحيَّة تجاوبت معها بمشاعرها ثم مدت يديها وأخذت وسقطت بإرادتها، وكذلك الأمر في قصة عخان بن كرمي (يش٧). لذلك يمكننا القول إن الذهن هو جزء هام من مكونات النفس الإنسانية، ومسؤول عن التفكير والإدراك والفهم والتذكر والتخيل، ويقوم بهذه الوظائف طبقًا لما اختزنه داخله من مبادئ ترسبت بداخله على مر السنين.

فالذهن هو الذي يحكم توجهات الإنسان وطريقة تفكيره وأسلوب حياته وردود أفعاله، فالذهن يقود القدم (السلوك).

كما أن الذهن هو أرض المعركة مع العدو، إذا امتلك الذهن، امتلك الحياة (٢كو١٠:٤ و٥). لهذا يحارب المؤمن بالمخاوف مثلما عمل مع إيليا أو يحاربه بالأفكار الشِّريرة أو أفكار الغيْرة والحسد أو أفكار الإحباط واليأس وهذه كلها أشكال مختلفة من الحرب الذهنية التي يشنها إبليس ضد المؤمن.

المدخلات للذهن تؤثر فيه مثل ما نقرأه أو نشاهده أو نسمعه، فيجب أن نحترس ونسهر على حواسنا ولا نسمح للعالم أن يلقى قاذوراته بداخلها «اسهروا وصلوا لكي لا تدخلوا في تجربة» (مر١٤: ٣٨). لذلك وضع الرسول بولس حدودًا لدائرة تفكير المؤمن تقتضي أن كل ما يدخل إلى أذهاننا ينبغي أن يكون حق وعادل وطاهر ومُسر وجليل وصيته حسن (في٤: ٨).

أنواع الذهن لغير المؤمنين:

١- **غليظ:** كما يُقال "تخين"، لا يتجاوب مع كلمة الله (٢كو٣: ١٤).

٢- **أعمى:** لا يرى الأمور حتى الواضحة، فالحالة عنده ظلمة في ظلمة «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين» (٢كو٤: ٤).

٣- **باطل:** أو فارغ لا عمق فيه ولا فكر «فأقول هذا وأشهد في الرب: أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأُمم أيضًا ببُطل ذهنهم» (أف٤: ١٧).

٤- **فاسد:** يرى كل شيء نجسًا حتى الطاهر «أناس فاسدي الذهن وعادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارةٌ. تجنب مثل هؤلاء» (١تي٦: ٥)، «وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى، كذلك هؤلاء أيضًا يقاومون الحق. أُناسٌ فاسدة أذهانهم، ومن جهة الإيمان مرفوضون» (٢تي٣: ٨).

كيفية علاج الذهن لغير المؤمنين:

١- الاستنارة بناموس ذهني؛ أي قانون الطبيعة الجديدة التي ينالها الشخص عن إيمانه بالمسيح المخلِّص (رو: ٢٣ و٢٥).
٢- يكتب الرب نواميسه في أذهاننا (عب٨: ١٠، ١٠: ١٦).
٣- خلع الذهن القديم (أف٤:٢٢ و٢٣).

كيفية علاج الذهن للمؤمنين:

١- **تجديد الذهن:** بلغة الكمبيوتر ربليس القديم (replace) بالجديد أو المبادئ والأفكار الخاطئة بالصحيحة «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله: الصالحة المرضية الكاملة» (رو ١٢: ٢). وعن كيفية تجديد الذهن فإنه يكون **بالإعلان الإلهي** فقد استنار ذهن أيوب في نهاية تجربته بما تعلمه عن الله (عكس ما كان يعتقد) ففرح بالقول: «بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني» (أي٤٢:٥)، ويكون **بمراجعة النفس** مثل الابن الضال الذي فكر جيدًا فوصل إلى نتيجة غيرت مصير حياته تمامًا، ويكون **بالمعرفة والفهم** وهذا يتضمن السعي المتزايد نحو معرفة فكر الرب من خلال كلمته بفحص دقيق «لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب» (أف٥: ١٧).

٢- **إنهاض الذهن:** بِتذكرنا لكلمة الرب وما فيها من مبادئ يُعاد تأثيرها على الضمير والقلب: «هذه أكتبها الآنَ إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء، فيهما أُنهض بالتذكرة ذهنكم النقيَّ» (٢بط٣: ١).

٣- **النضوج الذهني:** «أيها الإخوة، لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشَّر، وأما في الأذهان فكونوا كاملين» (١كو١٤: ٢٠)، وهذا غير مرتبط بعدد سنوات العمر أو عدد سنوات الإيمان، بل مرتبط بالتجاوب مع المعاملات الإلهية في التجارب والاستفادة من المواهب الروحية ومن كلمة الله التي تؤهل الشخص ليصبح إنسان الله كاملاً متأهبًا لكل عمل صالح (٢تي٣: ١٦).

٤- **التعقل:** نصح بطرس بالروح القدس قائلاً: «وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت، فتعقلوا واصحوا للصلوات» (١بط٤: ٧). والتعقل هي عملية تشابه ما يفعله العرب عند وضع العقال على الرأس، لكن المدلول الروحي هي لحفظ الذهن من هجمات إبليس، كما أن التعقل من ضمن ما يعنيه هو النظرة المتزنة للنفس، فلا هي مبالَغ فيها لأن هذا هو الكبرياء بعينه، ولا هي نظرة متدنية لأن هذا هو الشعور بالنقص بعينه، وهذه وتلك تعطِّل عمل الرب. فعندما تكلَّم بولس لأهل فيلبي عن الاتضاع قال: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع» (في٢: ٥). فالاتضاع فكر والكبرياء فكر، فالشعور بالعجب والأفضلية والتميز هي روح مغايرة لروح المسيح الذي قال: «تعلَّموا منى لأني وديع ومتواضع القلب»، كما أن الذهن هو ذهن مُنضبط (محكوم controlled) مثل يوسف النجار الذي لم يتخذ قرارًا انفعاليًا أهوجًا حينما علم أن مريم خطيبته حُبلَى، لكن في

هدوء تام «أراد تخليتها سرًا» (مت١: ١٩)، لولا أن جاءت رسالته من الله لكي يأخذ مريم بدون خوف أو تردد.

٥- **خذوا خوذة الخلاص (أف٦: ١٧):** الخوذة تحمي الرأس مركز الأفكار، وكم تمتلئ أحيانًا أفكار المحارب بأفكار مفشِّلة ولاسيما وقت التجارب، فقد يهمس العدو في ذهنه بأن تجربته ليس لها مثيل وليس هناك أمل في الخروج منها؛ لكن بلبس خوذة الخلاص يمتلئ قلبه بالرجاء من جهة قدرة الرب لإنقاذه.

٦- **العبادة العاقلة (رو١٢: ١):** العبادة يدخل فيها الذهن بطريقة مباشرة، فهي عبادة عاقلة أي يدخل فيها العقل لهذا عندما أوصى بولس عن الصلاة والتسبيح ذكر «فما هو إذًا؟ أُصلِّي بالروح، وأصلِّي بالذهن أيضًا. أُرتل بالروح، وأُرتل بالذهن أيضًا» (١كو١٤: ١٥). لهذا يعمل العدو جاهدًا في إرباك الذهن، فهناك إستراتيجية للعدو بها يجعلنا في محضر الرب بلا ذهن وذلك بالسرحان، فتكون الكلمة التي يرسلها لنا الرب مثل البذور التي تقع على الطريق فتأكلها طيور السماء، لنجتهد ألا نسرح خارج محضر الرب ونجتهد أيضًا لو أحدنا سرح أن يرجع بسرعة، وإن حدث انزعاج لنجتهد أن نجلس أمام الرب ولو دقائق لنهدئ نفوسنا أمامه ليملأنا من جديد بسلامه الذي يفوق كل عقل، ولنجتهد ألا نأخذ المشاكل والارتباكات والمشغوليات معنا إلى محضر الرب.

ختامًا .. هناك معتقدات كثيرة تربك أذهاننا وتسيطر على تفكيرنا نحتاج أن نتخلص منها لكي تكون لنا الأذهان الصاحية المستنيرة المتجددة ومن أمثلتها التعصب (لو ٩: ٤٩)، سوء الظن بالآخرين (١صم١: ١٣)، الأحكام المطلقة والتعميم (عد ١٣: ٢٢). وغيرها.

فهذه كلها تعتبر أمراضًا فكرية تنتج نتاجًا سلبية وهدامة في حياتنا.

***

٢٢

قد ذكرت لك

في ضعفنا قد ننسى رصيد صلاح الله معنا ونحتاج باستمرار أن نقول مع داود: «باركي يا نفسي الرب، ولا تنسي كل حسناته» (مز١٠٣: ٢)، لكن العجيب أن الرب أيضًا لديه رصيد من الذكريات بالنسبة لكل واحد من أولاده! وذلك لأنه يذكرنا كل حين «على كفيّ نقشتك. وأسوارك أمامي دائمًا» (إش ٤٩: ١٦) ويضعنا في عينيه (مز١٧: ٨). كوننا نقول للرب "بافتكر لك كل خير" هذا منطقي وطبيعي، لكن العجيب أن الرب يقول لنا "بافتكر لكم كل خير"، رغم أننا مملؤون عيوب وهذا بشهادتنا على أنفسنا لا بشهادة آخرين عنا.

فهيا بنا نطلع على ذاكرة الله لنعرف ما هو مخزون فيها من نحونا من خلال هذه الشواهد: إرميا٢: ١-٢؛ ملاخي ٣: ١٦؛ متى ٢٦: ١٢.

الموقف الأول: إرميا (ص٢):

كانت حالة الشعب في الانحطاط الروحي. فلكي يؤثر فيهم الرب يذكر لهم الذكريات الجميلة التي كانت بينه وبينهم. فقال لهم: «قد

ذكرت لك غيْرة صباك»، أيام خروجكم من أرض مصر، أيام انتفاضكم من معاجن الطين ومن أوثان مصر، فما زال صوت ترانيمكم على شاطئ البحر الأحمر يرن في أذني «الفرس وراكبه طرحهما في البحر». ولنا نحن أيضًا يقول: فما زلتُ أذكر معجزات التغيير التي حدثت معكم وفيكم، يوم شهد كل المقربين لكم أن «الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديدًا» (٢كو٥: ١٧)، يوم كنتم غيورين على الحق وعلى ربح النفوس وعلى الكلمة وعلى اسمي فكم كانت الحماسة تملاكم والحرارة الروحية طابعكم، يوم كنتم حارين في الروح، عابدين الرب، يوم كنتم تطيلون الجلوس أمامي بالساعات، يوم كنتم تطيلون الجلوس أمام الكتاب المقدس للقراءة أو للدراسة بالساعات. الطبيعي أن الرب لم يتغير، بل نحن مَنْ تغيرنا، لكنه لكي يؤكد لنا قبوله لرجوعنا يقول لنا هذه العبارات للتوضيح قد نشبهها بشخص جرح لسبب موقف حدث له من شخص عزيز عليه فيقول له: "مش أنت ده يا فلان اللي أنا أعرفه" ...!

«ذكرت لك محبتك خطبتك»: يوم أن أحببتموني من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر ومن كل القدرة. ليس لأن هناك من أوصاكم بأنكم تحبونني لكن باختياركم أحببتموني وكم يفرق مع الرب أن نحبه دون أي تحريض على المحبة وأن نخافه دون أي تحريض على المخافة. فكان عتاب الرب للشعب أن مخافتهم له هي وصية الناس معلمة (إش ٢٩ : ١٣).

«ذكرت لك ذهابك ورائي في البرية»: حيث ليس ماء، حيث

الآبار المشققة التي لا تضبط ماء. حين صار العالم بالنسبة لكم برية. يوم أن صُلب العالم لكم وأنتم للعالم. يوم أن دستم وبعز على كل أمجاد العالم وممتلكاته. يوم أن ألقيتم ذهب أوفير بين حصى الأودية.

وكم يشهد التاريخ عن أشخاص لأجل عمل الرب ضحوا بمراكز وترقيات وفرص كسب مادي لأجل إكرام الرب لكي لا يُحرموا من الاجتماعات الروحية أو المشاركة في خدمة الرب.

إن الرب «فتيلة خامدة لا يطفئ وقصبة مرضوضة لا يقصف». فكان يرى في الفتيلة الخامدة شعلة منتشلة من النار، وكان يرى في القصبة المرضوضة العصا التي تشق البحر وتصبح، لا عصا الإنسان الضعيفة، بل عصا الرب المعتزة بالقدرة.

الموقف الثاني: ملاخي (٣):

«حينئذ كلَّم متقو الرب كل واحد قريبه، الرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة» (ملا ٣: ١٦).

عندما يتكلَّم متقو الرب، بكل تأكيد سيكون الرب الذي يتقونه ويخافونه يهابونه والذي يملأ حياتهم موضوع حديثهم. سيتكلَّمون عن عمله، عن قطيعه وخدمته وكلمته والرب سيكون حاضرًا معهم يسمعهم ويصغي إلى ما يقولونه ويأمر بأن يُكتب ما يقولونه في سفر تذكرة في الذاكرة الإلهية.

ففي ذاكرة الله يُسجّل صلوات المؤمن. فإن كانت مجرد أحاديث

الأتقياء يُسجلها، فكم وكم صلواتهم وأعمالهم وحتى كأس ماء بارد لا يضيع أجره وهذا يوضح فما لا نعتبره نحن تضحية لأجل الرب يعتبره لنا الرب تضحية.

في ذاكرة الله تنطبع صلواتنا ولجاجتنا وصراخنا. فبعد رحيل كل من موسى وصموئيل بمئات السنين – وهم رجال صلاة – أراد الله أن يُذكر الشعب بهم، ففي إرميا ١٥:١ قائلاً: «وإن وقف موسى وصموئيل أمامي. لا تكون نفسي نحو هذا الشعب». فكأنه يقول إنهم لم يبرحَا من ذاكرتي ولا يمكن أن أنسى أبدًا صلاة هذين الرجلين العظيمين، لا أنسى مهما طال الزمان الوقفات الجميلة والأوقات الطيبة التي كانت لموسى وصموئيل أمامي.

سيأتي يوم فيه يذكر الرب لنا الأوقات الجميلة. وقت كنا نصلّي فيه. فكم يحمل كل قارئ من ذكريات جميلة بينه وبين الرب واختبارات حلوة ليس نحن فقط من يتذكرها، بل يذكرها لنا الرب وهذا يؤكد أن صلوات المؤمنين تظل محفوظة في ذاكرة الرب إلى الأبد.

الموقف الثالث: موقف مريم وكسرها لقارورة الطيب:

ذُكرت هذه الحادثة في إنجيل متى (ص ٢٦)، مرقس (ص ١٤)، يوحنا (ص ١٢)، لكن البشير متى يذكرها بطريقة بديعة حيث يسجل قول الرب عما فعلته مريم: «الحق الحق أقول لكم: حيثما يُكرز بالإنجيل في كل العالم، يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها» (مت ٢٦: ١٣).

إن مريم لم تكسر قارورة الطيب وقت مرض أخيها أو حتى وقت موته ولم تكفن بها جسده، لكن يبدو أن تقدير مريم للرب بعد التجربة ازداد جدًا، حيث وجدت فيه ما قاله لمرثا إنه القيامة والحياة. فالتجربة عمقت فيها التقدير للرب وعادة الرب يجيزنا في صعاب وتجارب ليعطنا اختبارات ونعرفه بها أكثر وتزداد شركتنا معه ونتمتع بحلاوة صفاته أكثر.

وكلمة «كسرتها» تعطينا انطباع أنها قررت أنه لا يكون في حياتها شخص سوى الرب ولا تنتظر سواه. ففي الوقت الذي كل الأنصبة فيه ستنتهي سيبقى لنا الرب النصيب الصالح الذي لن يُنزع منا.

ما فعلته مريم لم ينل مدح الصفوة وهم التلاميذ. فابتدأ التلاميذ يوبخونها منقادين إلى اقتراح يهوذا الذي كان بمثابة المعاشرات الرديَّة التي تُفسد الأخلاق الجيدة. فكم كان صعبًا على امرأة رقيقة المشاعر. إناء نسائي أضعف أن يقف ضدها علانية التلاميذ الاثنا عشر دفعة واحدة، لكنها كانت قد تدربت في موقف سابق وقت انتقاد أختها والرب فعلاً أنصفها (لو١٠: ٤١). هذا التدريب أفادها في المرة الجديدة. فلم ترد على التلاميذ وتركت هذه المسؤولية للرب. ونحن كم نخسر الكثير من الوقت الثمين في الدفاع عن أنفسنا وعن آرائنا ومبادئنا وعن خدمتنا ودوافعنا!

حقًا طوباك يا مريم حيث في كل مكان وزمان تأتي سيرتك بالمدح

والتأثير الطيب لتكريس حقيقي للرب، فالبيت لم يمتلئ بما فعلتيه، لكن في كل أرجاء العالم وفي كل الأزمنة تأثير رائحة تكريسك تؤثر في كل السامعين بذلك فتزيد تقديرهم للرب وتكريسهم وذلك صدى لما فعلتيه.

فكم صدق مَن قال: "ليس غبيًا مَن يضحي بما لا يستطيع أن يحتفظ به في سبيل أن يحتفظ بما لا يستطيع أن يفقده".

رائع الرب! ورائعة عيناه الجميلة! ومحبته القوية التي لا تضعف أمام ضعفنا! ولا تفتر أمام فتورنا! ويذكر لنا بتقدير حقيقي حتى أبسط الأمور التي ربما نسيناها مع الوقت، يا له من مُحب رائع!!

ألا يشعرنا هذا بالخجل من أنفسنا ويجعلنا نعزم على اتباعه بعزم القلب؟

***

٢٣

العام الدراسي
وهجران الاجتماعات الروحية
هل هو عرض أم مرض؟

في الآونة الأخيرة زاد الاهتمام من الأهل بالعملية الدراسية ربما أكثر من أي عصر مضى. فأصبحت العملية التعليمية تشبه سباقًا محمومًا، ليس فقط بين الطلبة، بل أيضًا بين الأهل وبعضهم!!

فنرى أن الاجتماعات تخلو من بعض العابدين لسبب امتحانات الشهر للأولاد وقد يكون الأولاد في مرحلة الـ **K. G.**

وفي عهد سابق، كان أسبوع "الميدتيرم" يعتبر إجازة من حضور الاجتماعات وكم نشكر الرب لأجل إلغاء "الميدتيرم".

فقد أصبح حضور اجتماع الأحد الرئيسي للكبار فقط وندر حضور الشباب، واكتفي الشباب باجتماع الشباب الأسبوعي حتى إن تعارض مع موعد الدروس الخصوصية. ويصبح الـ ٨ شهور للطالب بمثابة بيات شتوي وإجازة من حضور الاجتماعات.

حتى في القرى، كانت النصيحة أن الزيارات في موسم الشتاء أفضل، لأن موسم الصيف فيه هناك انهماك في العمل بالأراضي

الزراعية. لكن الوضع الحالي اختلف، فحاليًا الدروس الخصوصية تبدأ في القرى من بداية شهر أغسطس، وبعض اجتماعات القرى ترحب بزيارات الصيف بعد انتهاء الأهل والطلبة من العام الدراسي بمشقاته. وهذا العام (٨ شهور) يُضاف عليه شهران تبدأ فيهما الدروس الخصوصية قبل العام الدراسي، فيعتبر كل العام عامًا دراسيًا، فلو زارهم خادم بالشتاء ربما لا يجد حضورًا من أغلبية الطلبة، بل غيابًا من بعض الأهالي.

ما سبق هو جزء من الواقع الأليم. وتحليلي له هو عرض لمرض وهو ضعف الحالة الروحية، فتكون هذه الأعذار شماعات مقنعة للتقاعس والتقصير في حق الرب، مع أن أغلبنا اختبر أن الرب يعوض الطلبة عن الساعات التي يقضونها في حضور الاجتماعات الروحية، فيبارك في الباقي من الوقت.

أذكر أن العام الذي جئت فيه للرب، وهو ثانية جامعة، هو أكثر عام حضرت فيه الاجتماعات الكنسية بشكل قد يكون يوميًا وهو أكثر عام حصلت فيه على تقدير ودراجات. فالمبدأ: إن الرب يكرم الذين يكرمونه.

أخشى أن الرب يتأنى ويجيء الوقت الذي يكبر فيه أولادنا ولم يتعودوا ولم يتعلَّموا أن هناك اجتماعات عبادة كنسية جماعية ولا يعرفون معنى وأهمية اجتماعات الكنيسة وربما هذا ينتج – حتى وإن

كان بغير قصد – كنيسة تشبه دولة المؤسسات، كلها اجتماعات فرعية مستقلة في كل شيء بعضها عن بعض، لا يربطها معًا سوى المبنى كمكان!

معذرة من التعميم! فأنا أعرف أن بعض البلدان لم يصبها هذا المرض، لكن ما سطرته هو حالة الغالبية في كل الدوائر والكنائس والأمر لا يقتصر على طائفة بذاتها، فهو اتجاه عام لوضع يندى له الجبين.

من القلب أصلى لأجل استفاقتنا ورجوعنا لاجتماعاتنا الروحية، بل لأجل أن يجيء الرب الذي هو سيكون رحمة بكل معنى الكلمة.

***

٢٤

معًا ضد التنمُّر!

ما نكتبه الآن صدى لموقف التنمُّر الذي تعرَّضت له تلميذة بالمدرسة في الإسكندرية في أول أكتوبر ٢٠١٩ ليس فقط من زميلتها، لكن من والدة زميلتها والتي قالت لها: "أنت ما إلا بنت بواب، لكن بنتي أبوها مهندس بترول"!

نوجه رسالتين، الأولى للسيدة المتنمرة، والثانية لأهالي التلاميذ المتنمر بهم.

الرسالة الأولى: للزوجة المتنمرة:

الحقيقة إننا نطوِّب بنت البواب! فنحن لا نقلل من مهنة شريفة يمتهن بها الآلاف مِمَّنْ يخدموننا بكل حب وبكل تواضع، راضين بالقليل من متطلبات الحياة ومن الدخل. لكن في هذه الرسالة والتي ربما لا تصل للمقصودة بها وهي الأُم المتنمرة.

"لعلك نسيتي أن بنت حارس العمارة العام قبل الماضي بمدينة نصر طلعت الثالثة على الجمهورية بالثانوية العامة وكرّمها رئيس الجمهورية ذاته لاجتهادها، وهذا لم يحصل مع مئات الآلاف للشباب المدللين، وذات الأمر تكرر العام الماضي. لعلك لم تقرئي عن أحد

الأثرياء كان له حارس حديقة، وابن الحارس كان في قمة الأدب والاجتهاد والنجاح، وعلى النقيض منه كان ابن الرجل الثري. فذات يوم قال الرجل الثري للفقير أُعطيك نصف ثروتي لو جعلت ابني مثل ابنك، لكن هيهات"!

فبالتأكيد التربية المدللة أنشأت ابن الثري مُعاقًا شخصيًا وليس جسديًا. ربما مثل الكثير من الشباب "نايم قايم على النت والألعاب" ويدلل نفسه وينتظر حتى مَنْ يضع له الطعام في فمه، على العكس ابن الحارس، حيث أن التربية الصعبة أنشأت فيه رجلاً يتحمل المسؤولية. الواقع يشهد أن الظروف الصعبة تنتج رجالاً صابرين، عندهم قدرة على التحمل وإيجابيين في المجتمع ونصيبهم في النجاح يكون أوفر ليس فقط الزمني، بل والروحي أيضًا ونمو العلاقة مع الله، على العكس مَن نشأوا في ظروف سهلة وأوضح مثال لذلك داود الذي نشأ في ظروف صعبة منذ طفولته وبالرغم من ذلك كان له حجم علاقة مع الله أكبر بكثير من سليمان ابنه المدلل الذي تمتع بالغنى والرغد في الحياة، ما لم يكن لغيره من البشر لكن المال أفسده والغنى أضاعه ومَنْ أعطاه الله الحكمة حمق وتصرف تصرفات لا يعملها حتى الحمقى! ويعوزنا الوقت أن نتكلَّم من الكتاب عمَّنْ كانت بدايتهم صعبة ونهايتهم كانت عظيمة مثل يوسف وغيره من الأمثلة المشجعة في كلمة الله.

ليتنا نشجع أولادنا ألا يحتقروا مَن هم أفقر أو أهلهم أقل تعليمًا أو

أقل دخلاً منا، بل بالعكس نُعلِّمهم احترامهم ونكون نحن قدوة لهم في ذلك وليتنا نُعلِّمهم ألا يعتمدوا علينا وعلى إمكانياتنا اعتمادًا كليًا، فيشبون معاقين ويسبقهم الكثيرون من هؤلاء الذين كانوا موضوع سخريتهم في الماضي، لكنهم باجتهادهم تمت فيهم الكلمات «أ رأيت رجلاً مجتهدًا في عمله أمام الملوك يقف لا يقف أمام الرعاع» (أم ٢٢: ٢٩). فالعبرة بالنهاية وكما يقولون في المثل الدارج: "مَنْ يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا"، والواقع يقول إن الذين ينشأون في ظروف صعبة ويشعرون بظروف أهلهم الصعبة يتحدون الواقع ويعملون أقصى ما في وسعهم لتغيير الواقع للأفضل وفي الغالب ينجحون.

الرسالة الثانية: لأهل الأبناء المتنمَّر بهم:

والسؤال: ما هو دور الأهل في حالة تعرض أولادنا للإيذاء من أصحابهم في المدارس أيًا كان هذا الإيذاء لفظيًا (بالتريقة) على لبسهم أو شكلهم أو جسمهم أو طريقة كلامهم، أو إيذاء بدنيًا بالضرب، أو إيذاء جنسيًا بالتحرش سواء بالتلامس أو بالمعاكسات؟

هذه المواقف وغيرها كفيلة بأن تدمر نفوسهم وشخصياتهم، بل ومستقبلهم كله، فكم من حالات الفشل والتوقف عن الدراسة بل والإقدام على الانتحار كان السبب المباشر لها التنمُّر.

في كلمة الله نجد موقفًا مماثلاً، عندما كان إسماعيل يمزح مع إسحاق، وبعض الشراح قالوا إن إسماعيل الوحشي – وهو يكبر عن

إسحاق ب ١٣ سنة – كان يتحرش به، عندئذ لم سارة ترضَ بالوضع وبحس خاص تتمتع به الزوجات بالإحساس المبكر بأي أخطار تهاجم البيت والأولاد هي أول مَن رأت الخطر وطلبت من إبراهيم أن يطرد الجارية وابنها، لكن إبراهيم كعادة بعض الرجال، استخف بالمشكلة للدرجة التي من خطورتها وتقاعُس إبراهيم، في ذات الوقت استوجب الأمر ظهور خاص من الرب له وكلام مباشر: «لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقوله سارة اسمع لقولها» (لقراءة القصة في تكوين ٢١: ٩–١٣).

وهنا ننوه على بعض النقاط:

١– ربنا وضعنا كآباء وأمهات في طريق أولادنا لحمايتهم. فيجب أن نكون لنجدتهم ولا يكون ذهابنا للمدرسة لمجرد حضور حفلات التكريم أو في حالة استدعاء ولي أمر، بل يجب من حين لآخر يكون ذهابنا للاطمئنان عليهم ولكي يشعر أبناؤنا أن لهم أهلاً يهتمون بهم، فهناك دراسة تقول إن المراهقين إن كانوا يريدون من الأهالي مساحة للحرية لأنهم لم يعودوا صغاراً لكنهم في ذات الوقت في داخلهم احتياج عميق للسؤال والاهتمام بهم، فكتمان الحرية يعادله عندهم التجاهل واللامبالاة.

٢– يجب أن نأخذ شكاوى أولادنا محمل الجد، فلا نستخف بها، صحيح هناك بعض الأولاد كثيري الشكوى ومتبرمين على

المدرسة والمدرسين والزملاء قليلي التعاون مع زملائهم، لكن عندما نبحث ما يقولون، قد يكون الاحتياج فقط لسماعهم والتعاطف معهم وتقديم النصح لهم في كيفية التعامل في الظروف المختلفة.

٣- لا يجب أن ندافع عن أولادنا حال خطأهم، فنعمِّق في أولادنا عدم تحمل مسئولية أخطائهم والتنصل منها ونعمق فيهم شعور الضحية وأنهم مفترَى عليهم، لكن الاعتراف بالخطأ والاعتذار عن الخطأ وتعديل السلوك مبكرًا طرق تربوية تتفق تمامًا مع الفكر الإلهي المدون في كلمة الله.

٤- إن كنا نحذِّر من خطورة التنمُّر على أولادنا وحمايتهم من الإيذاء حتى اللفظي لأنها تعمق عندهم الشعور بالنقص أكثر مما هو موجود كسمة من سمات سن المراهقة المبكرة، لكننا في ذات الوقت نحذر من أن نكون نحن كآباء متنمرين بأبنائنا، فبدون قصد ندمر شخصياتهم بدل بنيانها! فالمقارنات بين الإخوة أو بينهم وبين الأقارب أو بينهم وبين الزملاء يكرههم فينا وفي زملائهم المقارن بهم ويكرههم في أنفسهم أيضًا!! وكلماتنا تشوِّه عندهم الصورة الذاتية عن أنفسهم، لأننا كآباء مرآة يرون أنفسهم فيها، فإما أن نكون مصدر تشجيع لهم وقت الإحباطات أو تدمير لهم بالكلمات الهادمة، ولعلنا نذكر أن أولادنا من الممكن ينسون كل شيء

جميل ويتذكرون لفظًا واحدًا جرحهم وقد يكون صدر عفويًا وقت انفعالاتنا.

نثق في إلهنا الصالح أن يعطينا – باستمرار كما أعطانا في الماضي – استجابة لطلباتنا من جهة أولادنا في حفظ خروجهم ودخولهم، ففي الوقت الذي يكونون فيه بعيدين عن أعيننا، يكونون في عينيه محفوظين (مز ١٧: ٨) وحتى المشاكل التي تخرج خارج سيطرتنا لن تخرج خارج يديه الكريمتين، مصلِّين دائمًا أن الرب لا يُدخلنا في تجربة من جهة أولادنا وليملأ قلوبنا بالسلام والإيمان من جهة مستقبلهم ونجاحهم وحفظ أرواحهم ونفوسهم وأجسادهم ونصلِّي أن نكون نحن كآباء بحسب فكره من جهة تربيتهم في خوف الرب وإنذاره.

***

٢٥

من جيل إلى جيل

المتابعون لي في حياتي وخدمتي يعرفون أني أتيت للرب في سن الـ١٩ وبعدها بدأت علاقة حقيقية مع الرب وتغييرًا حقيقيًا، لكن الشيء المشترك لي قبل وبعد الإيمان هو متابعتي للكورة والتي اندثرت من اهتماماتي في السنوات الخمس عشرة الأخيرة للصفر؛ لسبب المشغوليات لا أكثر ولا أقل. قبل الإيمان ومن نعومة أظافري وجيلي والجيل السابق يعرف مَنْ هو الخطيب، أشهر لاعب في مصر، والجيل الحالي – جيل ابني– يعرف مَنْ هو رمضان صبحي. أحيانًا أُشارك ابني هوياته، فأشاهد معه جولاً أو أناقشه في حديث الإعلام عن مباراة عالمية حدث فيها ما يسمى "ريمونتادا". وفي الأسبوع الماضي (نوفمبر ٢٠١٩) تأهل المنتخب الأوليمبي والذي ساهم في فوزه اللاعب رمضان صبحي بإحرازه هدفًا أثناء المباراة، وفي الدقائق الأخيرة في المباراة صنع هدفًا للفريق، والذي لم يتاح

لي سوى متابعة هذا الهدف فقط وبعدها تكلَّمت وسائل الإعلام عن النجم الصاعد الواعد رمضان صبحي وتم تداول بوسائل الإعلام الحوار القديم له مع الخطيب وكان سن رمضان صبحي ٨ سنوات. ألا نلاحظ أن أبناء هذا الجيل أحكم من أبناء النور في جيلهم؟ هذه رسالة للشيوخ بالكنائس والقادة والخدام ولي أنا معهم.

من خلال هذه السطور القليلة أقدم النصيحة لي ولإخوتي والخدام لتشجيع الأحداث والشباب في كنيسة الله؛ فهم كما يُقال عنهم نصف الحاضر وكل المستقبل:

١- **هل نتوقع لهم مستقبلاً حسنًا لهم في خدمة الرب؟** فيكونون «كسهام بيد جبَّار، هكذا أبناء الشبيبة طوبى للذي ملأ جعبتهم منهم» (مز ١٢٧: ٤ و٥)، ونحن بدورنا كخدَّام وقادة وكآباء نقول: طوبانا! إذا كان أولادنا وبناتنا كسهام في جعبة الرب يستخدمهم وبمهارة في إزعاج مملكة الظلمة وفي ربح النفوس وفي امتداد ملكوت الله على القلوب.

٢- **هل أن نتوقع أنهم يعملون ما فشلنا فيه؟** فلقد قال الرب باتضاع شديد وهو يوجه كلامه للتلاميذ: «الأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها» (يو١٤: ١٢). فقد يقوم هؤلاء الشباب ويعملون ما لم نقدر أن نعمله في خدمة الرب.

٣- **هل نكف عن الشكوى الخاصة برعونتهم؟** فمن المعروف أن

الحداثة مرتبطة بالأخطاء المتكررة، وهكذا كنا نحن في حداثتنا، ولكن الرب احتملنا ووجدنا مَنْ يحتملنا من شيوخ أفاضل وقادة نحن مدينون لهم كل الدين لاحتمال عوائدنا. بدأ يشوع العظيم غلامًا له أخطاء ورعونة في التصرف والكلام ومرة قال لموسى عن المتنبئين في الخيمة: «يا سيِّدي موسى، اردعهما!» (عد١١: ٢٨) وموسى وجَّههُ بحبٍ. فمع الوقت الصغير لم يعد صغيرًا، فالذي أدخل الشعب إلى الأرض هو يشوع، والذي قسم الأرض للشعب هو يشوع. فلقد سمع من الرب: «كما كنت مع موسى أكون معك».

٤- **هل نكف عن الشكوى بعدم خبرتهم؟** فقد نقول لا يوجد من يتحمل مسؤولية أو يصلح وننسى ما كتبه بولس: «الذين بسبب التَّمرُّن قد صارت لهم الحواس مُدرَّبة على التمييز بين الخير والشر» (عب ٥: ١٤). لعلنا نذكر أن الخبرة التي حصلناها من الإخفاقات أعظم من النجاحات. جاءت الخبرة عندما أعطونا مَنْ شجعونا قدرًا من الثقة والمساحة للعمل دون إرباكنا، الخبرة جاءت عندما سمعنا كلمات تشجيع أكبر من إمكانياتنا ومواهبنا.

٥- **هل نشجع صغار السن؟** فلقد استخدم الرب يوشيًّا وسنه ثماني سنوات، وصموئيل وهو صبي حتى قبل أن يميز صوت

الرب، وداود حتى وهو موضع احتقار كل المحيطين به له، واستخدم إرميا رغم أن صورته عن نفسه أنه ولد، للدرجة التي تكلَّم معه الرب مباشرة: «لا تقل إني ولد». وكأن الرب يقول له: فأرى فيك أنك معد للاستخدام قبل أن تصبح جنينًا في البطن «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدَّستك. جعلتك نبيًا للشعوب» (إر ١: ٥).

٦- **هل نشجع ذوي الإمكانيات الصغيرة؟** مثلما شجع أندراوس الغلام ذا الخمسة أرغفة وسمكتان، عالمًا أن القليل عندما يوضع بين يدي الرب يُصبح كثيرًا، عالمًا أيضًا أن الرب لا تعيقه الإمكانيات القليلة. فلقد استخدم في العهد القديم أهود بن جيرا رجلاً أعسر، واستخدم مقلاع داود، ولحي حمار أيام شمشون، واستخدم إبرة طابيثا، وبهذه الإمكانيات البسيطة عمل الله أعظم الأعمال.

٧- **هل نقبل شراكة الأصغر معنا في عمل الرب؟** ما يُحسب للرسول بولس أنه شجع تيموثاوس وتيطس وكليهما شبانًا قائلاً لتيموثاوس: «لا يستهن بك أحد»، وذات القول كرره لتيطس، وأعطاهمَا الفرصة ليعملاَ المسؤوليات الكثيرة في غيابه، بل أحيانًا كان يقصد الغياب لكي يعطي تيموثاوس الفرصة: «ولكن إن كنت أبطئ، فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله» (١تي٣: ١٥).

٨- **هل نعطي الصغار الفرصة الثانية؟** بعيدًا عن الخوض فيمن أخطأ التصرف في رد الفعل تجاه مرقس وفشله في الخدمة ورجوعه في الرحلة التبشيرية، فبولس رفض مرافقة مرقس لهم في الخدمة، ولكن برنابا شجَّعه، حتى إنه بعد وقت حتى بولس نفسه قال عنه لتيموثاوس: «خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة» (٢تي٤: ١١)، مرقس مَن كتب عن الرب يسوع كالخادم في إنجيله.

الواقع يقول إن دوام الحال من المُحال، وإنه سيأتي وقت ونترك فيه مسرح الحياة. فهناك مَن تركوا مسرح الحياة دون مقدمات ودون أن يسلِّموا الراية لآخرين، وتركوها خرابة وتلة، وعلى النقيض هناك مَن تركوا عمل الرب في ازدهار بفضل أولادهم الذين تمرنوا في وجودهم، فاستمرت الخدمة، رغم عدم استمراريتهم في الحياة. والحقيقية التي نقر بها هي استمرار وجودهم معنا وتأثيرهم وذكراهم رغم رحيلهم الفعلي من الحياة.

ليتنا نتسلح بنية تشجيع الصغار من حولنا، ونحن مستندون على الرب، ولنثق أننا سنحصد نتائج مباركة في حينه.

***

٢٦

من وحي امتحانات الشهادة الإعدادية

ابنتي في الصف الثالث الإعدادي، عادةً كل يوم تتخوَّف من أن يأتي الامتحان صعبًا وعادة أجيبها: "المسئولية اللي عليكِ هي الإجابة، وأنت غير مسئولة عن مستوى الامتحان صعب أو سهل، لكن ما يتم رصد الدرجات عليه بالنسبة لك – ولكل الطلبة – هي إجابتك على الأسئلة وليس تقييم مستوى الامتحان". وهكذا في حياتنا نقابل أسئلة ومواقف سخيفة، وأحيانًا صعبة، وأشخاص ما كنا نتمنى في يوم من الأيام أن نتعامل معهم، وجروح وإساءات غير نهاية، كل هذا وغيره ما يُحسب علينا أو لنا هو مستوى رد فعلنا في هذه المواقف.

تعالوا نأخذ من إنجيل متى ٤:١١ و٢٥ و٢٦ موقفين تعرَّض لهما الرب، وكل مرة لا نجد سؤالاً لكن نقرأ: «أجاب يسوع»، وكانت إجابة الرب رائعة، لكن الحقيقة السؤال الذي أجاب عليه الرب في الشاهدين هو الموقف الصعب الذي تعرض له الرب:

📖 **الموقف الأول** (متى١١: ٤): عثرة يوحنا المعمدان عندما أرسل اثنين من تلاميذه للرب وقالوا له على الملأ: «أنت هو الآتي أم

ننتظر آخر؟». وكلنا نعرف رد فعل الرب في هذا الموقف في أنه لم يشوِّهِ المعمدان مثلما شوَّه صورته، كما نفعل نحن في مثل هذه المواقف ولا حتى صحح كلام المعمدان الخاطئ عنه، لكنه اهتم بتصحيح صورة يوحنا المعمدان أمام من سمع الكلام.

- **الموقف الثاني** (متى١١:٢٥ و٢٦): هو أن المدن التي صنع فيها الرب أكثر قواته لم تتب، فكانت إجابة الرب: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ... لأنه هكذا صارت المسرَّة أمامك»، وأكمل كلامه بما يفيد أنه لم يفشل في الخدمة ولم يتوقف، بل عزم أنه سيواصل الخدمة مع المتعبين والثقيلي الأحمال، فأعلن نداءه الشهير: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم». إن تقييم الإجابة لا يكون فقط من الرب الوازن الحقيقي للقلوب والأرواح، بل من المجتمع المحيط بك، سواء مجتمع العائلة أو العمل أو المؤمنين، فهم يرصدون وبكل دقة كل حرف من حروف إجابتك وأعني أنهم يراقبون ردود أفعالك.

اليوم الثاني كان امتحان الهندسة بالإعدادية شُغلت فيه أكتب فكرة عن نموذج الإجابة، لقد اختلف نظام التعليم كليةً. فلقد درست الهندسة التي تدرسها ابنتي من سنين عديدة. فلقد اختلف نظام التعليم بنسبة كبيرة لكن ما زلت أذكر شيئًا كان يحدث معنا لا في الشهادة الإعدادية، بل في المراحل الأولى من التعليم الأساسي. كان المدرس يعطينا سؤالاً: يكتب مقاسات معيَّنة ويقول لنا باستخدام المسطرة والمثلث والمنقلة والبرجل ارسم الشكل التي تعبر عنه المقاسات التالية، ولأنه كان يصحح

لأكثر من أربعين تلميذ، ومن الصعب أن يقيس كل الرسومات، فكان يرسم الرسم الصحيح في نموذج على ورقة شفافة ويضع الورقة على رسم كل تلميذ، ومَن يجد أن رسمه انحرف عن النموذج ولو بمليمتر واحد في أي اتجاه كان هذا الطالب يخسر الدرجة كلها.

كلنا نعلم أن النموذج الصحيح لأي سلوك هو الرب يسوع المسيح. ما بالنا ننحرف عن النموذج وبضمير مستريح في صلواتنا نقول للرب إن المسافة بيننا وبينه ألفا ذراع بالقياس، مع أنها فاقت عن ذلك بكثير؟! فالنموذج الفريد كان لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. أما نحن فحدِّث ولا حرج!

النموذج الفريد كان وديعًا ومتواضع القلب، أما نحن فروح التعالي تملأ قلوبنا وتنضح على تصرفاتنا.

النموذج الفريد لم يجازِ عن شر بشر، ولا عن شتيمة بشتيمة. أما نحن .....

النموذج الفريد كان يراعي مشاعر الآخرين ولا يجرح أحدًا لا صغيرًا ولا كبيرًا، سامريًا أو يهوديًا، رجلاً أو امرأة، طفلاً أو شابًا.

النموذج الفريد كان ..... أما نحن .....

نستطيع أن نسرد ليس فقط كتابًا بل كُتبًا كلها تصرخ وبأعلى صوت: أننا «رُشَّ علينا الشيب ونحن لا ندري!».

هل نتوب ونرجع للعيشة طبقًا لنموذج حياة المسيح، أم أن تعلن تصرفاتنا أننا تغرَّبنا عن حياة المسيح؟!

أو لم نعد نعرف المسيح وحياتنا تعلن وتخبر عن مسيح آخر؟!